

رواية خفايا الأقدار



عمر الديب

Earth_212

الإهداء

نحلم أن ننالها و أنا لها

المقدمة

عندما تأتيك الفرصة التي طال انتظارها، تأخذ بيدك من
ظلام الماضي إلى بريق عيونها، فتفتح أمامك أبواباً لم
تكن تعرفها، ويغمر قلبك حب لا نهاية له.

في أحد الأيام، قررت أن أنتحر
كان القرار واضحًا، لكنه لم يُنفذ كما أردت. نعم، قفزت
من أعلى سطح المنزل، لكن الموت لم يأت، بل جاءت
الكسور. كسور في عظام الكتف، وشرخ أكبر في
داخلي، شخص الأطباء حالتي بالاكتناب
ليتهم اكتشفوه قبل أن أقفز، قبل أن تتكسر أضلعي
وتتشقق روحي، لكن على أي حال، خرجت من
المستشفى وأنا أجر
خلفي ظلًا ثقیلاً من الألم، وذهبت إلى طبیبة نفسیة
مشهورة، لعل الحل يكون لديها
استقبلتني وتحدثت معي، ثم فجأة سألتني سؤالًا بسيطًا
لكنه أربكني

- ماذا تريد من الحياة يا أسامة؟

أسامة:

_ لا أريد شيئاً... لا أعرف... فقط، أريد أن أعود كما

كنت، طبيعياً... أريد أن أكون بخير.

الطبيبة:

_ بخير؟ ولماذا تستخدم هذه الكلمة؟

يرفع أسامة يده ببطء، يضعها على رأسه، ويهمس:

_ هناك شيء هنا... لا أستطيع النوم بسببه. يحدثني كل

يوم، يهمس بأسماء والداي.

الطبيبة:

_ هل تستطيع وصف هذا الشيء؟

أسامة:

_ إنه ليس شيئاً موجوداً... لكنه يأتي دوماً، يظهر لي

فقط، ينهشني، يحطم ما تبقى مني.

صمتت قليلاً، ثم بدأت تكتب وصفاً طبية، ناولتني

الورقة. خرجت وأنا أنظر إلى الدواء، وتمتمت:

_ دواء؟ وماذا سيفعل الدواء؟ هل سيُعيد إليّ والدي؟

أخي؟

لن يعيدهم شيء، لن أعود إلى الجامعة، لن أعود

الماضي، لن يحدث جديد

كنت أعبر الطريق، غارقاً في شرودي، حين جاءت

سيارة مسرعة من جهة اليسار. الضوء كان حاداً، يزداد

كلما اقتربت، لم أشعر بشيء بعدها، سوى الظلام

اصطدمت بي السيارة، ثم انقلبت وهي تتمايل بعنف

توقف الناس لثوانٍ، مدهشين، ثم تحركوا بسرعة

انقسموا إلى مجموعتين: إحداهما نحو السيارة

والأخرى نحوي

في السيارة، حاول البعض فتح الباب دون جدوى، حتى

جاء رجل وكسر الزجاج القريب من السائق، وصاح:

_ إنها فتاة!

مدّ يديه، أمسك بها، حاول سحبها، لكن ساقها كانتا

عالقتين

جاء رجل آخر، أزاح العوائق، وساعده على إخراجها.

كانت تنزف بغزارة، جرح عميق في عنقها، والزجاج

غائر، وقف الجميع عاجزين، إلا أن تحرك شاب بصوت

متلعثم:

_ لا تضغط على عنقها... لا تلمس الزجاج مباشرة...

كان ذلك الشاب أنا

رأسي ينزف، أضلعي تؤلمني، ثم فقدت الوعي وسقطت

جاءت سيارة الإسعاف، حملتنا

أدخلوا الفتاة مباشرة إلى غرفة العمليات، وأنا كذلك،

بعد اكتشاف كسر حاد في الضلوع، جعل جلدي مزرقاً

من النزيف الداخلي.

خشى الأطباء أن تصاب رئتي بالكسل، فأدخلوني

الجراحة سريعاً، أما الفتاة، فكان الزجاج قد اخترق أحد

الشرايين السباتية. لحسن الحظ، تدخل الأطباء في

الوقت المناسب وأنقذوها. ذلك اليوم كان غارقاً في الدم

كانت الفتاة أكثر من تألم، لكني كنت أكثر من تحطم

عندما اصطدمت رأسي، أصبت بارتجاج في المخ،

وفقدت ذاكرتي مؤقتًا

كان الحادث مؤلمًا

لكن الغريب أنه كان بداية. بداية حياة

أو لنقل: بداية حياتنا

الفصل الاول

(حادث سعيد)

أخيرًا استيقظت ونظرت إلى يساري حتى رأيت تلك

المرضة وهي تضع أحد الأدوية في المحلول الموصّل

مباشرة إلى يدي اليسرى. وبعد ذلك ذهبت الطبيبة،

وظللت أنظر إلى يساري حتى رأيت تلك الفتاة التي كان

الزجاج عالقًا في عنقها أمس. كانت نائمة، وعنقها
يلتف حوله بعض الأدوات الطبية من شاش وقطن.
كنت في كل دقيقة أمسك رأسي بسبب الألم الشديد
للغاية، ومرت نصف ساعة وأنا أمسك رأسي تارة
وأخرى أنظر إلى تلك الفتاة، حتى قطع ذلك الطبيب
إعجابي حين دخل وقال:

__ يقولون إنك طالب؟

تكلمت بتلعثم لأن لساني كان يعجز عن الكلام بشكل
صحيح:

__ أجل، بالفعل، طالب جامعي، ولكنني لا أذكر في أي
تخصص. أمسكت رأسي وقلت: والآن مرة أخرى أشعر
بألم في رأسي

قال الطبيب:

__ لقد أنقذت تلك الفتاة، هل تتذكر ذلك؟

بصوتي المتلعثم:

__ أجل، أتذكر ذلك، ولكنني لا أتذكر أين كنت أو ماذا

كنت أفعل قبل ذلك. وكلما حاولت أن أتذكر، لا أستطيع

لماذا؟

قال الطبيب:

__ أنت تعرف لماذا، فأنت طالب في كلية الطب، أليس

كذلك؟

قلت له فجأة:

__ أجل، تذكرت، كلية طب

قال الطبيب:

_ على أي حال، لا تقلق، إنه فقدان ذاكرة مؤقت نتيجة للصدمة .

ثم خرج الطبيب من الغرفة، وبدأت أشعر بالألم كلما تحركت، حتى لو كانت الحركة بسيطة. كان صدري يؤلمني، لكن كان هناك بجانب السرير منضدة بها محفوظة أعرفها، فهي لي. وبعد محاولات صعبة، مؤلمة كلما حركت يدي، تمكنت أخيرًا من الوصول إليها. فتحتها وأخرجت كل شيء كان بها، وجدت بعض الأوراق التي لا أذكر كيف وصلت إلى هنا. وهذه البطاقة... نعم، أتذكرها، بالطبع، إنها بطاقتي الشخصية. جلست أنظر إليها وأقرأها:

الاسم: أسامة يحيى عبد العزيز غنيم

العنوان: القاهرة الجديدة، شارع فيصل بن القاسم

مواليد: 1981/3/1

المهنة: لا يوجد، طالب

بعد أن قرأتها، أخذت أبحث عن نقود، ولكنني لم أجد.

لكن ما جعلني أطمئن هو أنني وجدت بطاقة أخرى بها

أموالي، تلك الأموال، ذلك الميراث الذي تركه والدي

بعد وفاته. وبينما كنت أنظر إلى الأعلى وأتذكر والدي

وأخي ووالدتي، قطعت حبل ذكرياتي تلك الفتاة التي

استيقظت وأخذت تصرخ وتقول:

_ الطبيب، أحتاج إلى طبيب .

وبالفعل، جاءت الممرضة ونظرت إلى تلك الفتاة
وذهبت بسرعة لتنادي الطبيب. بعد بضع ثوانٍ، جاء
الطبيب وقال:

_ أعطني المورفين، أسرع.

وبالفعل، أخرجت الممرضة المورفين من أحد جيوبها
وأعطته للطبيب. ثم أخذ الطبيب المورفين ودمجه في
المحلول الملحي الذي كان موصولاً مباشرة بيد الفتاة،
مما جعلها تستريح من الآلام. نعم، أذكر أن المورفين
يخفف الألم قليلاً.

بعد ذلك، نظر الطبيب إلى الفتاة وقال لها:

_ أنتِ بطلة، لا تقلقي، سوف تكونين بخير، فقط

أذهبي للنوم مرة أخرى.

ثم نظر الطبيب إليّ وقال:

_ وأنتَ أيضاً بطل، سوف تتعافى، وسوف تلتحم تلك

الضلع المكسورة مرة أخرى. هل هناك أحد من الأهل

أو الأصدقاء سيأتي؟

قلت له بصوت حزين، ولكن كانت على وجهي ابتسامة

غير حقيقية:

_ أنا ليس لدي أحد.

بعد ذلك، ذهب الطبيب بعد أن طلبته إحدى الممرضات

ليرى حالة في غرفة أخرى. حينها، نظرت إلى الفتاة،

لكنها كانت قد أغلقت عينيها وذهبت في النوم. أخذت

أنظر إلى الأعلى مرة أخرى وأنا أذكر ذلك الحادث. كنت

في السيارة معهم، كنا ذاهبين إلى الشاطئ في ذلك

اليوم، وكنا سعداء للغاية. وبينما كان والدي يعبر
الشارع بالسيارة، إذا بسيارة كبيرة تصطدم بنا، ولكن
المؤلم أن أخي الصغير جاء بكل جسده فداء لي. أخي
الصغير أنقذني، رغم أنني كنت أنا من يجب أن أنقذه.
بعد النظر إلى الأعلى، أغلقت عيني وذهبت في النوم،
وكالعادة، جاء إليّ والدي في الحلم، ولكن هذه المرة
جاء ومعه شقيقي. ترك أخي يد والدي وجاء نحوي
بسرعة، ركعت على الأرض وأطلقت يدي لأحضنه
ببكاء، وبالفعل جاء إليّ وأخذت أعانقه. بعد ذلك، نظر
إليّ وقال:

_ أخي، لا تبك، إنها البداية. بداية حياتك، لا تقلق،
سوف نكون بخير أنا ووالدي ووالدتي. أعلم أنها لم

تأت معنا، لكنها ترسل السلام معي وتقول لك إنها
تشتاق إليك. لا تقلق، أخي، سوف ترانا قريبًا. سوف
نذهب إلى تلك الجنة هناك معًا.

نظرت إلى ما يشير إليه، لكن لم أتمكن من رؤيته
بوضوح، لأن ضوءه الشديد كان يمنعني. قال:
_ حتى تأتي إلينا، يجب أن ترضى بما قسمه الله لك،
لأنه لا يريدك أن تكون ضعيفًا.

بعد ذلك، استيقظت وأنا أبكي على ذلك الحلم القاسي،
ولكنني وجدت تلك الفتاة تقول:

_ ما الذي يبكيك؟

نظرت إلى يساري حتى أجدها تشاهد التلفاز، ولكن
عينيها كانت تنظر إليّ. ثم قالت مرة أخرى:

__ ما الذي يبكيك؟

قلت بحزن:

__ لا، لا شيء، لا تقلقي.

قالت هي بصوت هادئ، معتذرة:

__ أنا آسفة، أعتقد أنك تبكي من الألم بسبب اصطدامي

بك، ولكنني لم أقصد.

قلت:

__ لا، لا أبكي من الألم، إنه فقط حلم مزعج.

قالت هي بتعجب:

__ هل ذلك بسبب أخيك؟

قلت متعجبًا:

__ ماذا؟ كيف؟

قالت:

_ كنت تردد كلمة "أخي" وأنت نائم، فلذلك اعتقدت

أنك تبكي بسببه. ما اسمك حتى لا أقول لك "أنت"؟

قلت:

_ أدعى أسامة.

قالت الفتاة:

_ وأنا ليلي، كنت تردد اسم شقيقك أيضاً.

قلت لها بحزن:

_ أجل، كان حلمًا مؤلمًا قليلًا.

قالت ليلي:

_ أعتقد أنه كذلك بالفعل.

بعد تلك الجملة، لم تتكلم مرة أخرى، واستمرت في مشاهدة التلفاز. نظرت يمينًا ويسارًا حتى وجدت حقيبتتي التي كانت معي في الحادث، وجدتها بعيدة عني كثيرًا.

أردت أن أنهض، ولكن لم أتمكن من ذلك. قالت ليلي: _ لن تستطيع، اطلب الممرضة.

كنت سأنادي، ولكن قطعت ليلي كلامي قائلة:

_ ماذا تفعل؟ هناك زر بأحد جوانب السرير، اضغط عليه، وسوف تأتي إليك الممرضة.

أخذت أبحث بيدي في الجانبين عن ذلك الزر، وأخيرًا وجدته. جاءت الممرضة وقالت:

_ هل هناك خطب؟

قلت:

_ أرجوك، هل من الممكن أن تأتي بتلك الحقيبة لي؟

قالت الممرضة:

_ بالطبع.

وبالفعل، ذهبت الممرضة نحو الحقيبة وأعطتني إياها،

ثم ذهبت.

أخذت أفتح الحقيبة بينما كانت ليلى تنظر إليّ، تنتظر

ماذا سوف أخرج من تلك الحقيبة. أخرجت الحاسب

المحمول.

نعم، لم أتحدث عن نفسي مطلقاً، فأنا بالرغم من أنني

طالب في كلية الطب، إلا أنني أعشق الكتابة والتأليف.

عندما كنت صغيرًا، كنت أكتب عن الحياة التي أريد أن
أعيشها في المستقبل، ولكن على أي حال، أخرجت
الحاسب المحمول وأخذت أكتب شيئًا جديدًا بعنوان
"الألم"، وكنت مهتمًا جدًا به وأخذت أكتب كثيرًا.

لكن قطع صوت ليلي كتابتي وقالت:

_ إذا أنت مؤلف؟

قلت لها:

_ لا، فقط أحب أن أكتب أحيانًا بعض الكلمات والجمل

لملء الفراغ الذي أشعر به.

بعد أن قلت ذلك، قامت بتحريك رأسها يمينًا نحو

الحاسب المحمول ثم قالت:

_ وعن ماذا سوف تتحدث؟

_ لا أعلم، ولكنني أقوم بتسليية نفسي.

_ أريد أن أسأل سؤالاً.

_ بالطبع، تفضلي.

_ كيف مات أخوك؟

أنزلت رأسي أتذكر ما حدث قائلاً:

_ يوماً أشبه بالكابوس، لم أتوقع أن يحدث ذلك. كنا

ذاهبين إلى الشاطئ في ذلك اليوم، وكنا سعداء للغاية.

ونحن نسير على الطريق السريع بالسيارة، كانت هناك

عربة كبيرة اصطدمت بنا، وفجأة جاء أخي الصغير

أمامي بسرعة حتى يحميني. ذلك الصغير الذي كان من

المفترض أن يعيش ويكمل حياته، أنقذني هو من

الموت.

_ أعتقد أن حزنك لن يفيد بشيء. الدعاء هو السبيل
الوحيد لتتخطى. يجب أن تعلم أن الانتحار شيء سيء
وسوء أدب مع روحك التي أعطاه الله لك، لذلك لا...
قاطعها أسامة:

_ وكيف علمت أنني كنت أريد الانتحار؟
قالت ليلي:

_ بينما كنت نائمًا، جاء الطبيب مرة أخرى ليطمئن
عليك، ولكن بينما كنت نائمًا، تمتت ببعض الكلمات
التي كانت بعضها مفهومة وبعضها الآخر لا. ولكن
البعض المفهوم كنت تقول فيه أنك تتحدث مع أحد في
أحلامك عن الانتحار، فذلك استنتجت أنك تريد
الانتحار. والآن استنتجت شيئًا آخر، أن عقلك الباطن

هو من يكتب تلك الكلمات وليس أنت. تريد أن تتحدث
في تلك الكلمات عنك وعن حالتك، ولكن الأخرى أن
تنسى وتكمل حياتك، لأنك إذا لم تتخط، سوف يضيع
عليك وقتك وأهدافك كثيرة.

سألت متعجبًا:

_ من أنت؟ استنتاجاتك جميعها صحيحة، ولكن للأسف

يا ليلي، أنت لم تعيشي شعوري وآلامي، فلذلك لن

تشعري بما أشعر.

ليلي، وهي تنظر أمامها:

_ من الممكن أننا لسنا بنفس الشعور، ولكن بنفس

الآلام.

قلتُ مستغربًا:

_ كيف؟

أجابته:

_ يوم أمس كان ذكرى وفاة والدتي، والدتي التي لم يكن غيرها بحياتي، والتي كانت تلعب دور الأب والأم في نفس الوقت. كانت أمًا عظيمة، رحلت عني، ولكن للأسف حتى الآن لم أفق من الصدمة. لذلك عندما كنت في السيارة متجهة لأحد الأقارب، تذكرت والدتي، الذي أريد أن أقوله أنا أيضًا كنت أتألم، وأنت كنت بالخارج تتألم مثلي، ولكن بطريقتك. حينها قدت لأقصى سرعة حتى أقتل نفسي، ولكن ذلك لم يأتِ بفائدة.

أسامة:

_ إذاً أنت...

قاططته ليلى بحزن:

_ أحياناً أقدم نصائح للآخرين ولا أعطي نصيحة

لنفسي. أعلم ما كنت ستقوله قبل أن تقوله.

قال لها بسذاجة:

_ في ذلك الوقت أريد أن أقول إن الأقدار هي من

جمعتنا، وحتى أيضاً الذكريات. تصبحين على خير.

قالت ليلى ضاحكة ضحكة هستيريا:

_ تبا لك!

بعد ذلك الضحك الكثير، رقدتُ للنوم، وأنا أعلم أن هناك

شيئاً أصاب قلبي، وهو شرارة الحب التي لم أشعر بها

من قبل. لذلك، لم أكن أعرف عندما أتت أول مرة.

في الناحية الأخرى من المشفى، في بيت أسامة، أخذ
زياد سكرتير والد أسامة يبحث في البيت عن البحث
الذي كان مع والد أسامة، الذي أضاع سنوات عدة في
ربط الأحداث والجمع بها حتى يعرف من هم منظمة
"العين"

قال السكرتير في نفسه:

__ لقد حذرت، هو من فعل ذلك بنفسه.

بعد ذلك قال أحد من خلفه:

__ قدر، تريد أن تقتع نفسك أنك الشخص الجيد

بروايتك، ولكنك تعلم أنك من قتلت.

التفت زياد لينظر من يتكلم، وإذا به يجد شخصاً جالساً
ومعه مسدس آلي يصوبه نحوه. حينها رفع زياد
ذراعيه بينما تحدث الرجل مرة أخرى قائلاً:
_ اترك كل شيء في مكانه قبل أن أضغط على الزناد.
وإذا ضغطت عليه، ستكون أول طلقة في منطقة لا تحب
أن تراها مصابة، والأخرى ستكون برأسك.
ترك زياد في تلك اللحظة الأوراق وكل المعلومات التي
أخذها، وضعها على مكتب رئيسه السابق يحيى، بوجه
شاحب كأنه خسر شيئاً ما، وتحدث زياد قائلاً:
_ أنا فقط لا أريد الأذى لولده كما حدث ليحيى.

الرجل بابتسامة سخرية:

__ كاذب، أنت تعلم جيدًا أنني أعرف ذلك، وتعلم أيضًا
أنني أعلم أنك أخذت المال منهم حتى تأتي بالمعلومات
إليهم. والآن تراجع بخطوات بطيئة.
ينهض الرجل ويأخذ زياد معه خارج المنزل وهو يضع
فوهة المسدس الآلي في منتصف ظهره ويفتح باب
سيارة كانت أمام المنزل ويدخلان بها.

الفصل الثاني

(صدفة غريبة)

استيقظت، وحينها وجدتُ ليلي مستيقظة. ظلتُ أتأملها

وأتخيل، ولكن تذكرتُ حينها أنه مجرد خيال.

رأتني ليلي وقالت بثقل:

__ ها أنتَ ذا.

قلتُ مستغرباً:

__ هل تتألمين حينما تتكلمين؟

قالت:

__ لا، لأن الزجاج لم يلمس الأحبال الصوتية، ولكن

أحياناً صوتك يأتي متأخراً لي. لا أعرف لماذا، ولكن

الطبيب قال إنني سوف أتعافى مع الوقت، وسيكون كل

شيء على ما يرام. ولكن دعني أسألك، وأنت نائم،

وجدتك تجد صعوبة في التنفس. أعلم بالتأكيد ذلك

بسبب الكسر، ولكن هل كان هناك حلم آخر؟

قلت ضاحكًا في البداية:

_ لا، لم يكن حلمًا، لأنني لم أحلم. فقط نمتُ واستيقظتُ،

هذا كل شيء. الحلم الذي كان بالأمس اعتدتُ عليه،

لأن أبي يأتي دومًا عندما أكون في خطر، لأنه يأتي لكي

يطمئن قلبي فقط. وبمناسبة صوتي المتأخر، فذلك

بسبب صعوبة وصول الأوكسجين. ستكونين بخير، لا

تقلقي.

حينها قالت وهي ترفع عينيها للتلفاز:

_ ذلك الوغد لا يريد أن يعمل.

حاول أسامة النهوض وأصر على ذلك، حتى أنه نهض

ببطء شديد، ولىلى تشاهده وتقول:

_ ماذا تفعل أيها الأحمق؟

قلتُ لها، بينما أنا أذهب لفتح التلفاز ببطء:

_ سأفتح لك التلفاز. بعد أن فتحتُ لها التلفاز، عدتُ إلى

السريـر مرة أخرى

وهي تنظر إليَّ بدهشة وتقول:

_ أنت مجنون.

وأنا أنظر إلى عينيها قلت:

_ أجل، أنا مجنون.

قالت، وهي تعيد نظرها إلى التلفاز:

_ نعم، أنت مجنون يا أسامة

قلتُ لها متسائلاً بينما أنا استلقي على السرير:

_ ماذا تدرسين ؟

ليلي وهي تنظر للتلفاز:

_ تمرّض، أو بمعنى اصح كنتُ

سألتها متعجباً:

_ كنتِ؟

قالت:

_ أجل، كنتُ، بعد وفاة والدي، لم أكمل.

قلت متسائلاً:

_ لماذا؟

قالت، وهي تنظر إليّ:

_ لأن زوج والدتي أخرجني منها، وأخذ كل شيء حتى
المنزل ولم يترك لي سوى تلك السيارة. بعد ذلك، ذهبتُ
إلى عائلة أُمي، لأنهم من علموني وقاموا بتربيتي، لم
أجد ملجأ سواهم. وبعد فترة ليست بطويلة، سمعتُ أن
زوج والدتي مات أيضاً، وذلك قهراً بعدما أخذت زوجته
الجديدة كل أملاكه وذهبت بعيداً، ومات. حينها فرحتُ
كثيراً. وفي يوم الحادثة، جاءت لي مكالمة من أعر
صديقة لوالدتي تقول إنني يجب أن آتي إليها، لأن هناك
ظرفاً من والدتي تعهدت أن تسلمه لي.
قلتُ لها:

_ ولم لم تتصلين بها حتى الآن، كي تعلمين ما هذا
الظرف؟ ممكن أن يكون شيئاً مهماً من والدتك؟

ليلى:

__ ماذا تقصد؟

قلتُ متعجباً من سؤالها:

__ يجب أن تعلمين ماذا كتبت والدتك لك، لذلك لم لا

تتصلين بها كي تعلمي ماذا؟ حينها، ضغطت ليلى على

زر الطلب لكي تأتي المريضة. وقتها، طلبت منها ليلى

الهاتف، وبالفعل، جاءت به، وتصلت ليلى بالسيدة،

وقالت لها السيدة أن تنتظر، لأنها ستقرأ الظرف لها.

السيدة:

__ هل ما زلتِ معي؟

ليلى:

أجل، معكِ. تفتح ليلى مكبر الصوت بالهاتف، لكي
يسمع أسامة، وتقول السيدة:

_ من والدتك إلى ابنتي الغالية؛ أما بعد، تلك السطور
التالية ستكون مفاجأة لك، لذلك لا تبالي في ردة فعلك
الأولى، بل فكري ثانيًا بعد قراءتك لهذا الظرف. في
البداية، ذلك الظرف تركته مع أعز أصدقائي وصديقة
طفولتي، لأنني أعلم أنني جعلته مع زوجي، لن
تريدينه، ولن تذهبين إليه. أعلم منذ طفولتك أنك لا
تحبينه وتكرهينه دائمًا. فلذلك، إذا كنتِ ما زلتِ معه،
فاصبري، وإن لا، فانتِ فعلتِ ما يجب فعله حتى تجدي
راحتك وتبتعدي عنه. أنا لا يهمني ما سيفعله بعد
موتي، ولكن يهمني وبشدة ماذا سيحدث لك، لذلك

كتبْتُ لكِ هذا الظرف. أولاً، كما قلتُ لكِ، السطور
القادمة ستكون مفاجأة لكِ وصدمة كبيرة، لذلك لا
تبالغي في ردة فعلك الأولى، وفكري ثانياً قبل فعل أي
شيء. حياتي ليست كما كنتِ تشاهدينها، فإن حياتي
بها مأساة كبيرة، لذلك أقول لكِ، قبل الزواج من والدك،
كنتُ باحثة كبيرة في مركز حكومي يسمى (م. م. م).
كانت آخر وأهم أبحاثي كانت عن منظمة تدعى (العين).
بالطبع، أجبروني أن حقيقتهم يجب أن تكون تزييفاً
للعلن ولكن في الحقيقة، هم حقيقيون بالفعل، هم فقط
يعملون في الخفاء. ولكن أيضاً لديهم أتباع آخرون،
أعتقد أن هؤلاء الأتباع ليسوا بشراً، أو معظمهم بشر،
ومعظمهم من عالم آخر. ولكنني، وبعد بحث طويل،

وجدتُ اسم مكان يتكرر بالبحث، وهو اسم مملكة جيانا.
الأهم من ذلك، بعد ما بحثتُ وقلتُ أنهم ليسوا حقيقيين،
ما زلتُ أشعر أيضاً أنهم يراقبونني. وبالتأكيد، أن من
أسباب موتي وهناك سبب وهم به. أنا فقط أحذركِ،
وأقول لكِ، إن لم تشعرين بالأمان وتشعرين دائماً أن
أحدًا يراقبك، أو هناك شيء غريب يحدث بحياتك، فقط
خذي مالك الذي تركته في حساب أعز أصدقائي
واذهبي إلى أي دولة ليست بها ضجة أكرر مرة أخرى
ليس بها ضجة أو ليست مشهورة من البلدان مثل
النمسا أو إيطاليا. من أمك التي أحبتك دائماً "إيمان".

ليلى:

_ هل ذلك كل شيء؟

السيدة:

_ أجل يا عزيزتي، أخبريني أين أنت الآن؟

ليلي:

_ أنا في المستشفى، لقد أصبت بحادث الليلة الماضية.

السيدة بذعر:

_ ولماذا لم تقولي ذلك في بداية المكالمة؟ في أي

مستشفى أنت؟ وأين أهلك؟ ألم يأتوا؟

ليلي:

_ لم أرد أن أزعجهم.

السيدة:

__ والدتك كانت دائماً تقول إن هؤلاء أهلك معكِ في
السراء والضراء. سوف أتصل بهم وسنأتي، فقط قل لي
ليّ ما اسم المستشفى. لم تكن ليلى تعرف اسم
المستشفى، حينها طلبت الممرضة أن تقول للسيدة ما
اسم المستشفى. لم أشغل بالي بذلك، حتى عندما جاءوا
فقط ألقوا السلام عليّ. لكنني بالفعل كنت في واد آخر،
أفكر في شيء سمعته من قبل قد قالته والدتي ليلى، وهي
منظمة "العين". أتذكر أن والدي كان يعمل على بحث
أيضاً وذكر اسم تلك الفرقة بمكتبه حينما كنت أتتصت
عليه. لا أعرف لماذا أتذكر كل شيء الآن، لكنني أعتقد
أن هناك شيئاً غامضاً لدرجة أنني لا أستطيع أن أراه
ولكن أشعر به. بعد تفكير عميق، قطع حبل أفكاري

شيء كنت أحسب أنه لن يحدث في ذلك الوقت، وهو
التفكير في ليلى وفي ليلة أمس التي شعرت بها، بأن
شيئاً قد ظهر في قلبي. ولكن لا أعرف ما هو هذا
الشيء، ولكن أعتقد أنني بدأت أقع في حبها. تلك الفتاة
التي ملامحها جميلة وعيناها كالقمر. لا أعلم كيف أقول
ذلك وأنا الذي غلقت هذا الباب منذ فترة طويلة، ولكن
ها أنا أعود إليه مرة أخرى ولا أعلم ماذا أفعل. هذا
الحب أشعر به الآن في كل أنحاء جسدي، كأنه مرض
ينتشر، ولكن أتدرون؟ أنا أحببت هذا المرض. نظرت
إليها وهي تتحدث مع عائلتها، أشاهد فمها وعينيها.
كانت مذهلة طوال الحديث، ومبدعة في نظرات
عينيها. جميلة في كل كلمة كانت تخرج من شفتيها.

كانت رائعة جدًا. هل هذا مخدر الحب أم أن هذه هي الحقيقة؟ بعد ساعة أو أكثر، أخيرًا ذهبوا عائلتها المزعجة. كنت أريد أن أخبرهم منذ فترة طويلة أن يذهبوا وأن يتركوني معها. لا أعرف لماذا أقول ذلك، ولكنني أشعر أنني يجب أن أعترف لها بكل ذلك. أشعر أيضًا أنني، وبين حطام عقلي ونفسي وجسدي، أرسل الله لي ملاكًا على هيئة بشرية جميلة مثلها، وكأنها دواء لدائي. تبا، لقد أغرمت بها وغرقت في عينيها. لبيتها نظرت إليّ أنا في تلك الحالة بدلاً من أن تنظر إلى التلفاز. لذلك نظرت أنا أيضًا إلى التلفاز لأجد خبرًا غريبًا. كانت هناك شاشة كبيرة تعرض مشهد طائرة خلف المذيعة وهي تتحدث. كان هناك أشخاص كثيرون

يركضون للخروج من الطائرة بسرعة، كأن هناك شيئاً
غريباً. وبعد أن خرجوا جميعاً، ظهر شخص يحمل
شخصاً آخر بين يديه غارقاً في دمائه. كان مشهداً
غريباً. بعد ذلك أخذت الشرطة الأمريكية ذلك الشخص،
وكذلك هؤلاء الذين كانوا معه.
تقول المذيعة:

_ وكانت تلك هي الأحداث المريبة التي حدثت في رحلة
طائرة 204 العام الماضي. وكانت تلك بعض المشاهد.
واليوم هو يوم إغلاق القضية بعد أكثر من عام يفصلنا
عن الحادث.

يقول المذيع الذي في الاستوديو:

_ وماذا حدث في القضية؟ كيف انتهت؟

قالت المذيعة بابتسامة:

_ أصبحت المجني عليها هي مضيضة طيران تدعى (مريم). يقول المتهمون الآخرون إنهم لم يقتلوا أحداً، وإنها أيضاً لم تقتل أحداً، وأن كل ذلك بفعل شعوضة أو شيطان. وتم ربط الشعوضة بكنيسة مشهورة في إيطاليا وهي كنيسة (كانيرو الكاثوليكية) أو الملقبة بين الشعب الإيطالي بكنيسة (الصراخ). ولكن تلك الأشياء لم تفيد القضية، وقررت المحكمة القضائية في نيويورك أن تحول القضية إلى البحث الجنائي. وبالفعل، بعد البحث في الطائرة، ظهرت بصمات المضيضة (مريم) في كل أنحاء الواقعة ومكان الضحايا الذين قتلوا في الطائرة، ولم يُعثر على أي بصمات للمتهمين الآخرين.

المذيع في الاستوديو:

_ شكراً لك، وأشعر أن الشتاء عندكم قارص هذه الأيام.

بدأ المذيعون يتكلمون في أشياء أخرى.

وقد قطع مشاهدي صوت ليلى وهي تقول:

_ حادثة غريبة. لا أعرف كيف يحدث كل ذلك ونحن

بدأنا نكون في عصر حديث يتغذى بالتكنولوجيا. كيف

يظن بعض الناس حتى الآن أن هناك أشياء مثل السحر

والجن وكل تلك التخاريف؟

قلت حينها:

_ لا أعرف، ولكن كل ذلك مذكور في القرآن ويجب أن

نصدق.

ليلى:

_ أعلم، ولكن كان ذلك في أحداث الرسول وما قبله.

لكن في العشرين سنة الأخيرة لم نسمع عن سحر
وشعوذة، لذلك أعتقد أن كل تلك الأشياء انتهت وأن
ليس هناك سحر وجن، وكل شيء من ذلك القبيل.
قلت حينها مستغربًا:

_ لماذا لن يكون هناك جن؟ بلى، هناك، ولكننا لا
نراهم. وأيضًا هناك سحر لأنه مذكور في القرآن.
وأثناء حديثي معها، سمعت صوت رنين هاتفي بإشعار.
حينها توقفت عن الحديث وأخذت الهاتف من المقعد
البلاستيكي الذي كان بجانبني. ثم فتحت الهاتف ونظرت
لشاشته الصغيرة لأجد أربعة رسائل. ملخص تلك
الرسائل أنني يجب أن أتعافى بأسرع ما يمكن، وأن

أحدهم قد دفع حساب جلوسي في تلك المستشفى. أعتقد
أن ذلك سكرتير أبي في المكتب. ذلك الرجل يحبني دائماً
منذ كنتُ طفلاً. أظن أنه دفع ذلك المبلغ مجاملة
لصدقاته معنا ومع عائلتي. بعد عدة أيام، وجدت نفسي
قد تعافيت. لا يوجد ألم ولا كسور أخرى في صدري،
وذلك اكتشفته بعد كشف الطبيب. فسمح لي بالخروج
يوم الأحد القادم، أي بعد ثلاثة أيام. وهذا جعلني أقول
إنني أعشق ليلي، لأنها كانت تتحدث كثيراً معي، بل
وكانت سعيدة جداً عندما قال لي الطبيب إنني سأخرج.
وهناك مواقف كثيرة بيننا مثل الضحك والمشاجرات
اللطيفة التي كانت تحدث حول من سيستولي على
التلفاز اليوم... كنتُ دائماً أرى بريق عينيها كلما تحدثت

لها. لا أعرف كيف زرعت كل ذلك الحب في قلبي. هل
بجمال عينيها أم بجمال ضحكتها؟ الآن أنا مغرم بتلك
الفتاة بشدة لدرجة أنني أصبحت أحلم بها. لقد وعدتها
أنني سوف أقوم بزيارتها كل يوم وسوف يكون هناك
وقت آتي به إليها. والآن لا أعتقد أنها ستخرج بتلك
الأيام، لأنها ستخضع لعمليات أخرى للتحسن، لأن الدم
لا يدخل إلى المخ بشكل جيد، وذلك يجعلها لا تفهم
بعض الأشياء. كان ذلك الذي قاله الطبيب أمامها، ولكن
الحقيقة أنها مريضة بشدة، ها أنا أخسر شخصاً جديداً
ولكن سوف أبذل ما بوسعي حتى لا تذهب من حياتي
أبداً. لقد قال لي الطبيب عندما سألته كم ستبقى ليلى
هنا:

__ نحن نعالج جزءًا من الدماغ الآن يسمى بالفص
الصدغي الأيسر وخاصةً منطقة (فيرنيك)، وهي منطقة
مسؤولة عن فهم التحدث والنطق، وللأسف تلك
المنطقة جودة الدم بها منخفضة كثيرًا، نحن نحاول
معالجتها، فلذلك هي لن تخرج إلا بعد معالجتها بشكل
كامل وتحسنها، وبإذن الله سينتهي كل ذلك بعد اسبوع
أو اثنين إذا لم تحدث أي مضاعفات. قلت له بعيون
دامعة:

أرجو أن لا تذهب هي الأخرى.

الطبيب يربت على ظهري قائلاً:

__ لا تقلق سوف نفعل ما بوسعنا. قالها الطبيب وذهب

بعيدًا، وأخذت أمسح أدمعي لأنني سوف أودع ليلي.

دخلت للداخل ونظرت لها وهي نائمة؛ أخذت مقعدًا
وجلست على يسارها وأيقظتها. حينها نظرت إلى
يمينها قائلة:

__ ستذهب؟

قلت لها بعدما مسكت يديها:

__ لقد وعدتك إنني سأتي لك كل يوم.

ليلى:

__ أعلم، ولكن لا أعرف كيف لن أتصارع معك مرة

أخرى؟ وكيف لن أراك بجانبك كل يوم؟ كنت الشخص

الوحيد الذي أحببت وجوده بجانبك، لا تنسي يومًا أن

أن تأتي.

قلت لها وأنا ممسكًا بيدها:

_ لا تقلقي لن أفعل ذلك لأنني سأأتي كل يوم وسوف
أزعجك. نهضت وقُبلت رأسها قبل أن أقول لها وداعًا.
وخرجت من المستشفى بسرعة رغم أنني أشعر
بالحزن لأنني سأفتقد ليلي، إلا أنني كنت سعيدًا قليلًا
لعودتي إلى المنزل مرة أخرى. تلك النفس الغبية التي
تظن أنها ستري شيئًا جديدًا، لكنني أعلم أنني سأعود
للاكتئاب مرة أخرى ولتلك الحياة الروتينية.

الفصل الثالث

(الحقيقة)

اخرجتُ المفتاح وفتحتُ باب المنزل ثم دخلت.
وضعتُ حقيبتني على أقرب مقعد، ولكن بينما كنت أفعل
ذلك، شممتُ رائحة تدخين، فظننت لوهلة أن أحد

الجيران هو من يدخل، لكن كيف ستصل الرائحة إلى
هنا؟ وعندما نظرت إلى باب مكتب أبي، اكتشفت أنه
ليس مغلقاً. تحركت إليه، وقبل أن أدخل، أمسكت بعصا
كانت قريبة مني، ثم دخلت.

وجدت شخصاً كان ظهره موجهاً نحو الباب، يقف
مشعلاً سيجارته، وينظر إلى صورة تجمع عائلتي .
كان يرتدي بدلة سوداء، وأعتقد أن كل ما يرتديه كان
باللون الأسود. التف ذلك الشخص وقال فجأة:

_ أهلاً.

قلتُ بتوتر:

_ مَنْ أنتَ؟

قال الرجل بابتسامة ونظر إلى العصا التي كانت معي:

_ أنا صديق والدك، وأعتقد أن تلك العصا لن تحتاج إليها.

قلت بتوتر شديد:

_ ومن يدري، قد أحتاج إليها، مَنْ أنت؟ أنا أعرف جميع أصدقاء أبي.

قال الشخص بنفس الالبتسامة:

_ لن تتعرف عليّ لأنك لم ترني أبدًا.

تحرك قليلاً وأشار إلى مقعد، ثم أكمل:

_ اجلس هنا.

قلت وفي قلبي رعباً شديداً:

_ لا.

قال الرجل وهو يزفر:

_ إذا كنتُ أريد أذيتك، لكنتُ فعلت ذلك لحظة دخولك من الباب، وأيضًا عندما دخلت بالعصا، لأن لا أحد يجرو على فعل ذلك.

وضعتُ العصا حينها على الأرض وتقدمت إلى المقعد وجلست. جلس ذلك الرجل أمامي قائلاً:

_ أنا أدعى جاسر، كنتُ صديق والدك في العمل، وكان أقرب شخص لي بالرغم من أنني كنت مديره في العمل، كان والدك أفضل شخص في العمل وأيضًا ماهرًا به. قلت مستغربًا:

_ كيف تقول إنه أقرب شخص لك وأنا لم أراك أبدًا ولم يتكلم أبي عنك يومًا؟ قال ضاحكًا:

__ بتأكيد لم يتكلم عني يوماً، لأن عملنا كان في سرية
تامة.

قلت له متعجباً:

__ لماذا؟

قال مبتسماً:

__ نسيت أن أقول لك أن والدك كان يعمل في المخابرات
المصرية.

قلت له بتهجم:

__ هل أنت تعلم والدي جيداً؟ والدي كان يعمل بوظيفة
حكومية، هذا ما كان يقوله، وقال أيضاً إنه يعمل في
السجل المدني.

قال بهدوء:

_ أنتَ تقول إنه يعمل في السجل المدني كما قال لك،

وأنا أقول إنه كان يعمل في المخابرات. لماذا سأكذب؟

_ أعطني دليلاً.

قال وهو يستند بظهره على المقعد:

_ على سبيل المثال منظمة (العين)

قاطعته بسرعة قائلاً:

_ كيف علمت عنهم؟

جاسر:

_ لأن والدك كان يعمل على ذلك البحث منذ فترة، وعلم

عنهم الكثير، وأنا أعلم جيداً أنهم من قتلوا والدك

وأخاك، وأنا هنا الآن أعرض عليك عرضاً جميلاً.

سألته متعجباً:

_ ما هو العرض؟ وأخبرني أين هم؟

جاسر:

_ وهذا هو العرض.

قلت له مستغرباً:

_ لا أفهم؟

جاسر:

_ أنا أعرض عليك أن تأخذ بثأر والدك وأخيك، وتقتل

من قتلهم. فهل تقبل أن تعمل معنا في المخابرات؟

قلت مسرعاً:

_ أكيد، ما دام سأخذ بثأر والدي وأخي.

نهض جاسر بعدما قبلت بعرضه وقال:

_ هياً بنا إذا.

سألت:

_ إلى أين؟

جاسر:

_ إلى المركز.

نهضت حينها وخرجنا أنا وهو من المنزل، وكان هناك
سيارة أمام المنزل، سيارة سوداء جميلة وضخمة، لم
أر في حياتي سيارة بهذا الحجم.

بعد دخولي للسيارة، ظللت أنظر يميناً ويساراً،
وعلامات التعجب تظهر على وجهي. حينها قرر جاسر
التحدث قائلاً:

_ سيارة جميلة، لقد قمنا بصناعتها داخل المركز
بأحدث الموارد. الأهم من ذلك، أريدك أن تسمع لي
وتنصت جيدًا.

نظرت له وقلت:

_ أنا منصت.

جاسر:

_ الآن، يجب أن تعرف أننا أحضرناك هنا ليس لتنتقم
لأهلك فقط، بل هناك الكثير من العمل الذي ستقوم به
حتى تنتقم لأهلك. بتأكيد ليس كما تتخيل، أنك ستأخذ
سلاحًا وتذهب لمحاربتهم، هذا لن يحدث. عملنا نفعله

بهذوء، دون نقطة دم واحدة. وأود أن أحذرک، إذا علم
أحد أنك تعمل معنا، سوف ننكر ذلك، وأعلم أنك ستقتل
بمجرد أن نعلم. الأهم من ذلك، يجب أن يكون لديك اسم
جديد مستعار، ولا يجب على أحد أن يعرف اسمك
الحقيقي، حتى وإن كنت في المركز.
قاططته قائلاً:

_ سأكون باسم والدي.

جاسر:

_ خالد إذاً.

قلت بابتسامة:

_ كنت أعلم، فوالدي يحب ذلك الاسم لأنه لأخي.

جاسر:

__ حسنًا، من الآن أنت تدعى خالد، ولا يجب على أحد
أن يدعوك باسمك الحقيقي.

قلت له مستغربًا:

__ ولماذا قلت لي اسمك؟

جاسر:

__ وهل تظن أنني أدعى جاسر؟

توقفت السيارة فجأة معلنة الوصول إلى وجهتنا. حينها

ترجلنا أنا وجاسر من السيارة، ووجدت مبنى ضخماً

للمغاية مكتوباً عليه من الخارج "شركة استيراد

وتصدير". كان المبنى متهاكاً، رغم أن كل شيء بدا

سليماً من الخارج، لكنه كان مليئاً بشبكات العنكب.

تقدمنا أنا وجاسر لدخول المبنى، وكان المبنى من
الداخل في نفس حالته من الخارج (متهاكًا). سرنا
قليلاً نحو المصعد، الذي كان نوعاً ما مختلفاً عن باقي
المبنى. دخلنا المصعد، وقام جاسر بالضغط على زر، ثم
بدأ المصعد في حركة غريبة، بدلاً من الصعود أو
النزول، بدأ بالتحرك إلى الخلف، وحينها استدرت
بظهري متعجباً.

قال جاسر وهو ينظر إلى علامات التعجب على وجهي:
_ لا تنظر بتعجب هكذا، فهناك أمور ستفقد صوابك
بسببها. لا تستعجل بردة فعلك عندما ترى تلك الأمور
تحدث، لأن لحظة تدريبك قد بدأت الآن. وأول معلومة
ستتعلمها، هي ألا تستعجب أبداً أو تفقد صوابك بسبب

أمر ما، ودائمًا حافظ على هدونك مهما كان الأمر
يستدعي فقدان الصواب، وتعلم أن عدوك يريدك دائمًا
أن تفقد صوابك.

قلت له مهززا رأسي بالموافقة:

__ حسنًا.

فتح المصعد معلنا عن حشد كبير جدًا من الناس
يسيرون يمينًا ويسارًا. تقدم جاسر وأشار بيده أن
أتبعه، وبدأ هو بالتحدث:

__ هنا، نعمل معًا. لذلك، أريدك أن تأخذ الأمر بجدية.

فهذا المكان الكبير به أسرار كبيرة، ولن أقول لك
بالطبع أن ذلك سيبقى في سرية تامة، وكل ما تراه هنا
لن نتحدث عنه بالخارج.

يجب أن تحافظ على السرية التامة، ويجب أن تعمل
بجد.

كان يتكلم جاسر وهو يسير في المكان متوجهاً إلى
مكتب فارغ، وأكمل حديثه:

_ هنا سيكون مكتبك وعملك، وبالطبع إذا احتجت
لمساعدة ما يجب أن تأتي إليّ هناك. كان يشير جاسر
إلى مكتب فارغ وبالتأكيد كان ذلك مكتبه.
سألته قائلاً:

_ وماذا سيكون عملي هنا؟

جاسر:

__ سوف يأتي أحدهم بملف، ذلك الملف ليس عملاً بل هو تدريب. فعملك لن تبدأ به اليوم ولا حتى في هذه الفترة.

ثم ذهب جاسر، وبعد ذهابه جلست على مقعد المكتب وكان أمامي حاسوب قمت بفتحه لم يكن به شيء، في تلك الأثناء قام أحد بالدخول قائلاً:

__ أهلاً بالعميل الجديد.

كان شاباً أعتقد إنه في نفس مرحلتي العمرية، يرتدي بدلة رمادية وسروال أبيض وكان يرتدي بمعصمه ساعة فاخرة.

قلت له:

_ أهلاً بك. رفعت يدي حينها حتى أصافحه وبالفعل مد

يده ليّ وصافحني، بعدها جلس وقال وهو يرفع يده

اليمنى بعد أن بدل الملف من يده اليسرى لليمنى وقال

لي:

_ ذلك هو عملك الأول وهو سهل نوعاً ما ويجب أن

تنتهي منه في خلال شهر أو شهرين.

أخذت الملف وكان الرجل ينهض ليخرج ولكنني سألته

قائلاً:

_ ما اسمك؟

قال الرجل:

_ أدعى آدم.

وقبل أن يخرج التف قائلاً:

__ هل قال لك السيد جاسر كيف تبدأ؟

قلت له:

__ لا، لم يقل لي شيء.

آدم:

__ إن ذلك شيء مخالف ولكنني سوف أقول لك من أين

تبدأ.

جلس آدم وقال:

__ ذلك الملف به معلومات عن طائرة تدعى الرحلة

124، خط سير تلك الرحلة كان بين مصر وسوريا

حدثت في عام 1988.

كل ما في الأمر أن تلك الطائرة سقطت في البحر

الأحمر، وذلك كل شيء أستطيع قوله.

قلت له متعجبًا:

_ وماذا سأفعل؟ لم أفهم؟!

آدم:

_ أن تأتي بمعلومات جديدة فقط.

بعد ذلك خرج آدم من المكتب بعد أن طلبه أحد من الخارج.

نظرت إلى الملف وكان به بعض المعلومات المهمة عن تلك الرحلة التي عبارة عن حمولة تجارية ما بين مصر وسوريا، رادارات المطار قالوا أن آخر ظهور لها كان بسيناء ثم اختفت، يحدث ذلك أحيانًا بسبب عطل، فأن تلك الرادارات قديمة نوعًا ما لذلك أرسلوا رسالة إلى مدينة عمان الأردنية والتي من المفترض أن ترى تلك

الطائرة بالرادارات التي لديهم ولكنهم قالوا إنهم لم
يروا تلك الطائرة، كل تلك المعلومات كانت عبارة عن
تمهيد للأمور التي وجدتتها في الملف ولكن آخر ما
توصل له المركز أن تلك الطائرة لم تسقط في البحر
الأحمر بشكل طبيعي، فكيف لطائرة ذاهبة لسوريا أن
تسقط في البحر؟ وهذا ما بحثت عنه لأن الملف يقول
أن الطائرة رست في تل أبيب، وهنا ينتهي الملف بعد
آخر معلومة تم إيجادها.

ولكن أنا بحثت عن شيء آخر وهو لماذا؟ لماذا ترسى
طائرة مصرية بتل أبيب؟ حينها شككتُ في أمر ما، وهو
أن ذلك ممكن الحدوث عندما تشعر تلك الدولة الخاسئة
بالخوف من أي طائرة تعبر من فوق رأسها، فإنها

تخاف من حرب جديدة مثل حرب 73، وبالفعل ما بحثت عنه وجدته وهو أن تلك الدولة شعرت بالفعل بالخوف لذلك طلبت من الطيار المصري (عبد الرحمن كريم) بالنزول بالطائرة في مطار تل أبيب، ولكن ما تسبب في حيرتي هو كيف بتلك الطائرة أن تسقط في البحر الأحمر؟ ظلتُ أبحث أكثر وبالفعل وجدت مرة أخرى بأن تلك الدولة الصهيونية خاسنة أكثر عندما علمت بأنها قتلت الطيار (عبد الرحمن كريم) وأخذت الحمولة التجارية لتنتفع بها ثم أخرجت الطائرة وتم إسقاطها في البحر الأحمر وتم إيجاد الحطام في البحر على جزيرة تيران، وبعد كل تلك المعلومات الكثيرة قررت وأخيراً أن أخذ تلك المعلومات إلى جاسر وبالفعل فعلت ذلك

ولكن كانت الصدمة أن ذلك البحث كان مجرد ملف
زائف لتحديد قوة المهارة في إيجاد المعلومات ودقة
التركيز، قلتُ لجاسر بعد معرفتي بتلك الصدمة:
_ وهل تلك المعلومات التي أحضرتها لك أيضاً زائفة؟
قال جاسر وهو يسترخي على المقعد:
_ أجل، كل شيء كان مزيفاً.
قلتُ حينها بتهاجم:
_ ولماذا؟
جاسر بابتسامة:
_ لأننا كنا نريد أن نعرف شيئاً ما بك، والآن قد علمناه،
وأبشر لقد قبلنا بك في المركز لأننا نحتاج لتلك القدرة
لكي تكشف لنا الكثير.

جلست على المقعد وأنا سعيد ولكن ما زالت تعبير

وجهي لم تصدق الصدمة.

جاسر مستغرباً:

_ لماذا أنت مصدوم؟

قلت له بابتسامة مسرعة:

_ أنا فقط لا أصدق.

جاسر:

_ جميعنا في المركز منبهرين ونسأل أنفسنا كيف

لمبتدئ مثلك أن يأتي بكل تلك المعلومات، تذكرني

بأبيك كان دائماً لا يأتي إلا وهو ينتهي من اللغز بشكل

كامل وكنت حينها أنا وأصدقائي ننبهر كيف لذلك

الشخص أن يأتي بكل تلك المعلومات بفترة صغيرة

للغاية مثلك كما جئت بتلك المعلومات في خلال

أسبوعين.

قلتُ له متعجبًا:

_ وهل أسبوعين ليس بكثير؟

جاسر:

_ إطلاقًا، فهناك أبحاث لا تنتهي أبدًا وكل يوم تكتشف

أمرًا جديدة بها، لذلك فهي لا تنتهي مهما فعلت أو

أنجزت، الأهم الآن أن نائب رئيس المخابرات يطلبك

بنفسه للحضور الليلة أمامه.

عندما قال "الليلة" تذكرت فورًا وعدي مع ليلى

فنهضت فجأة وقلت له:

_ أنا آسف يجب أن أرحل الآن.

خرجت من المكتب مسرعاً وجاسر كان ينادي ولكنني
لم ألتفت وخرجت من المركز ذاهباً إلى المستشفى
وعندما وصلت أخذتُ أصعد الدرج مسرعاً متوجهاً إلى
الغرفة التي كنا بها ولكنني لم أجدها فقلت لأحد
المرضعات بأن هناك فتاة تدعى ليلي كانت في تلك
الغرفة ولكن لم ترد عليّ بالرغم أن عينها كانت بعيني
وكنت أنتظر منها الرد ولكنها سارت وكأني لم أوقفها.
حينها ظننتُ أن هناك مكروهاً حدث لليلي، توجهت فوراً
لغرفة الطبيب ولكنني لم أجده.
خرجت من المستشفى وأنا يائس وأسأل نفسي لماذا لم
أفي بوعدِي لها، تبّاً لذلك العمل؛ عدت بعدها إلى المنزل
وأنا محمل بالهموم بجانب الإرهاق، نظرت إلى الحقيبة

الملقاة على المقعد الذي تركته منذ أسبوعين فقمْتُ
بفتح الحقيبة حتى أخرج الهاتف منها لأرى بعض
الرسائل من رقم غير معروف ولكنني أعرف من
أرسلها:

_ كنت أريد عندما أخرج من غرفة العمليات أراك لأنك
كنتَ جميع من بحياتي، أنا أعلم إنك لا تريد رؤيتي
ولكن لماذا وعدت وأنا انتظرت، لا تذهب إلى
المستشفى لأنني خرجت بعد نجاح العملية، لا أعرف
هل أكون سعيدة بأنني تعافيت أم حزينة بأنك لم تفي
بوعدك، كنتُ أحبك ها أنا أنطقها لأول مرة في حياتي
بعد انتظاري بأنك ستبدأ بها ولكن ها أنا أقولها لأنني

أشعر بها، إلى اللقاء أو إلى لا لقاء لأنني لا أريد أن أراك.

تركت تلك الرسالة أثر كبير في قلبي، خفتُ أن يضيع أول شخص بحياتي ولكن ها أنا خسرتَه، حاولت أن أتصل بالرقم ولكن دون جدوى لا إجابة فأغلقت الهاتف وذهبت للفراش لكي أنام.

ذهبت للنوم بعدما علمت تمامًا أنني أغبى شخص قد علمته على الإطلاق، تبّأ لي.

استيقظت من النوم صباحًا ذاهبًا إلى العمل في المركز وأخذت تلك المرة حقيبتتي وهاتفي، استقبلني حينها آدم وقال:

__ جاسر يريدك وهو غاضب جدًّا، ماذا فعلت؟

قلت له بحزن:

_ أعتقد أن ذلك آخر يوم سأكون هنا.

بعد أن قلت ذلك ذهبت مباشرةً إلى جاسر وفتحت باب

المكتب قائلاً:

_ أعلم لماذا تريدني.

جاسر:

_ اجلس، لن أتحدث عما فعلته ولكن هناك شيء أكثر

أهمية من ذلك.

قلتُ مستغرباً:

_ ما هو؟

جاسر:

_ هناك تحركات من شخص يعمل لدى منظمة العين

ويدعى بـ (علي)، معلوماتنا تقول بأن ذلك الرجل من

أحد أهم الأشخاص في منظماتهم.

يخرج جاسر صورته ويكمل قائلاً:

_ تم التقاط تلك الصورة أمس من قبل أحد الأشخاص

الذي يعمل معنا في ألمانيا.

سألته قائلاً:

_ وماذا يعني ذلك؟

جاسر:

_ يعني بأنك ستذهب إلى ألمانيا.

كنتُ مستغرباً من رده، ماذا سأفعل هناك فأنا كنت
متوقعاً بأن عملي سيختصر فقط على البحث من هنا
وأنا جالس على مقعدي أمامي الحاسوب. ولكن سألتته:
_ وماذا سأفعل هناك؟

جاسر:

_ أولاً ستقابل عميلنا هناك وستتبع تحركات "علي"،
فهو بحسب معلوماتنا كما قلت لك فإنه أحد أهم
الأشخاص وأيضاً هو الممول الرئيسي لتحركات
الفريق، فلذلك نريد أن نتجسس ونعرف معلومات مثل
لماذا ظهر الآن؟ أو أين الباقية؟ ماذا يفعل في ألمانيا؟

كل ذلك نريد أن نعلمه، فإنهم لا يظهرون أبدًا إلا في
حالات الكوارث... لذلك نحن نتنبأ بكارثة ستحدث عاجلاً
أم أجلاً.

وافقت على أن أذهب إلى ألمانيا فأنا ليس لدي أي
شيء لأفعله أو أشخاص مرتبط بهم أشعر بالقلق
عليهم، كل ذلك كان سيكون موجوداً إذ كانت ليلى هنا
ولكن الآن هي رحلت، والآن يأتي دوري في الانتقام
من هؤلاء.

الفصل الرابع

(ألمانيا)

خرجتُ من مطار برلين، استقبلني ذلك الشخص الذي
تكلم عنه جاسر الليلة الماضية ... تبًا ألمانيا رائعة
كل تلك الأشجار و العمران يمتزجان مع بعضهم البعض
كأن العمارة البشرية تمتزج مع الطبيعة الخلابة .
في ظل تأملي من نافذة السيارة وجدت ذلك الشخص
يتكلم قائلاً :

__الطبيعة .

التفت إليه مستغربًا:

__ماذا ؟!

ابتسم وقال مرة أخرى :

_الطبيعة، تمتاز تلك الدولة بالطبيعة الخلابة و العمران

التراثي الجميل، تم إنشاء كل هذا بعد توحيد البلاد مرة

أخرى .

استغربتُ كثيرًا :

_توحيد ؟

نظر الشخص إلى الأمام وهو يمسك بمقود السيارة :

_توحدت ألمانيا الشرقية والغربية بعد الحرب العالمية

الثانية في عام 1990، يجب قبل أن تذهب إلى أي دولة

أن تعرف ماضيها المظلم لكن ألمانيا هي قلب العالم

المظلم ... لأن ماضي ألمانيا ليس كأي ماضي دولة

أخرى، لا تستغرب كيف علمت كل هذا فأنا هنا منذ فترة
طويلة جدًا، فكل دولة هناك جاسوس وأنا هنا .
توقفت السيارة معلنة عن الوصول .
خرجنا من السيارة ونظرت إلى ذلك المبنى الكبير،
الذي أيضًا متهالك . قلتُ في نفسي :
_ما حكاية تلك المباني المتهاكة المليئة بالعناكب؟
دخلنا ذلك المبنى المتهاك لكن تلك المرة لا يوجد
مصعد ولكن يوجد درج ... نزلنا إلى الاسفل ووجدت
مرآب للسيارات تلك السيارات التي أراها مع الأغنياء
وطبقات المجتمع المختلفة الكبرى وقفت أمام تلك
السيارات منبهراً، تلك السيارات الجميلة جدًا كأنهن

نساء جميلات مزينين ومستحضرات تجميلهم هو ذلك
الطلاء الجميل على السيارات.
وجدت ذلك الشخص خلفي يقول :

_من هنا .

ضغط على زر وفتح باب غريب جدًا، دخلنا داخله
ووجدت المكان كشقة كبيرة، بدأ ذلك الشخص في
التكلم قائلاً :

_لم تقل لي اسمك، بماذا تدعى ؟!

قلتُ له وأنا أنظر للمكان ممسكًا بحقيبتني التي بها
ملابسي وعلى ظهري حقيبة أخرى بها الحاسوب
المحمول "لاب توب " :

_ادعى خالد .

بينما يخرج ذلك الشخص الزجاجة من الثلاجة ويضع

بعض من ذلك العصير الغب في كأسين قال :

_وأنا ادعى أسر، تصرف كأنه منزلك يا رجل وضع

حقائبك ارضاً. فأنا لم استقبل ضيوفاً كل يوم .

بالفعل وضعت حقائبي ارضاً وجلست على إحدى

المقاعد القريبة مني وقلت لآسر :

_مَن هو "علي" إذا ؟

آسر بتعجب وهو يقترب إليّ :

_ أَلَمْ يقل لك السيد جاسر ؟!

قلتُ وأنا استلم منه العصير :

_ بلى، لكن أريد أن اعلم عنه أكثر .

جلس آسر قائلاً قبل أن يشرب العصير :

_الكثير أنت ستعرفه بنفسك، فنحن لم نعلم عنه إلا
القليل كما قال لك السيد جاسر، فهو اغني الأشخاص
الذين يعملون في الفرقة وأيضًا هو أهم الأشخاص
لديهم وذلك كل ما نعمله عنه .

قلتُ وأنا ممسكًا بالعصير :

_تلك الاوغاد هم من قتلوا عائلتي لن ارحم هؤلاء أبدًا
قال أسر وهو يشرب العصير:

_أعلم ولكن يجب أن تفكر بعقل فنحن هنا في مهمة،
ليس لنتنقم تذكر ذلك فنحن ليس إلا جواسيس نتحرك
كما يقولون، فيجب أن نتحكم بغضبك .

وضعت كأس العصير على الأرض بعدما انتهيت منه
وسألتُ:

_حسناً، ماذا سأفعل ؟

آسر :

_اولاً يجب عليك أن تعمل معي بالمقهى الذي أمام

المبنى فأنا أعمل هناك، للتمويه وأيضاً احب ذلك

المقهى جداً، وسوف تختلط بالآخرين بالطبع يجب

عليك فعل ذلك ولكن في وسط كل هذا سنراقب "علي"

سألته متعجباً :

_في وسط كل هذا والعمل بالمقهى سوف نراقبه، كيف؟

ابتسم آسر وقال :

_أنتك هنا لفترة طويلة وأنا أعلم أنك ستعتاد الأمر .

قلتُ له متسائلاً :

_فترة طويلة؟ لكم يوم ؟

آسر مستغربًا :

_هل لديك شيء في مصر مهمًا به؟

نظرت إلى الأرض وتذكرت ليلتي، عندها علمت أنه

يجب وضع الماضي ورأني والماضي قدمًا فهي لا تريد

ان تراني من الأساس، عدتُ للنظر إلى آسر مرة أخرى

قائلًا:

_لا، لا يوجد شيء.

نهض آسر بعدما انتهى من العصير وقال :

_إذا تعال معي لتعرف غرفتك .

نهضت وسرتُ معه وببيدي حقائبي، كان هناك درج

للأعلى، صعدنا إلى الأعلى وكان هناك غرفتين، دخلنا

الغرفة القريبة من الدرج، كانت جميلة ومرتبّة ... هناك

سرير بجانبه منضدة صغيرة وأمام السرير تلفاز صغير
...ومكان يوضع به الملابس، كانت الجدران بيضاء
اللون صافية هادئة للعين .

آسر :

_ ما رأيك؟ فأنا لست اهوى النظام لكن علمت من جاسر
انك شخص منظم فعملت جهداً أن تكون الغرفة مناسبة.
ابتسمت قائلاً :

_رائعة، شكرًا لك .

ابتسم آسر وقال:

_ هناك مكتبة صغيرة أسفل السرير فهي مكتبة غريبة
بعض الشيء اضغط على الأرض فقط وسوف تظهر
سأتركك الآن لتستكشف المكان .

خرج أسر بعد أن أغلق باب الغرفة، ثم تحركت نحو
السريـر بعدما وضعت حقائبي ارضاً ثم أخرجت الهاتف
ووضعته على المنضدة الصغيرة، جلست على السريـر
أتأمل الأرض ووجدت شيء غريباً .

هناك لون مختلف عن لون الأرض الابيض، قلت في
نفسي :

_ها هو ذا !

ضغطت على ذلك الشيء ففتحت لي مكتبة بجانب
لونها، كانت مكتبة غريبة بيها بعض الكتب للقراءة لكن
ما أثار اهتمامي كان ذلك الملف الازرق، كان منفصل
عن الكتب ... اخذته وضغطت مرة أخرى لكي اقبل

المكتبة ورجعت بظهري على السرير وأخذت اقرأ

الملف كانت في بداية الملف جملة

" ملف سري للغاية "

"منظمة العين "

كانت في بدايتها مجرد قرية صغيرة، تركية المنشأ، لا
يعرف عنها الكثير فهي من زمن طويل، تقريباً من
عصر العثمانيين لأنهم ظهروا أكثر من مرة في الأحداث
التاريخية، بعض الحكومات سربت معلومات تؤكد أنهم
ليسوا مجموعة اعتيادية، بل جماعة كبيرة ، مُحكمة
التخطيط، تتحرك في الظل، وتنسج خيوطاً لا تُرى
منظمة تُشبه العقل المدبر للعالم، لا ترى ولكن تحس
كل أزمة كبرى، كل انقلاب مفاجئ، كل فوضى تبدو بلا
مبرر.. غالباً تجد بصمتهم خلفها، ولو لم تجد دليلاً
لا يتركون أثراً، لا وثائق، لا شهود، لا تسجيلات،
كل محاولة لتتبعهم تنتهي في طريق مسدود، وكأنهم
يسبقون العالم بخطوة- وكأنهم يعلمون ما سيحدث

غداً...الغريب؟ أننا لا نعرف عنهم سوى اسم واحد
'علي'. رجل يظهر قبل كل كارثة كبرى. توازن العالم
يختل، الاقتصاد ينهار، حرب تندلع، ثم يختفي كما جاء
أكبر ظهور له كان قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية،
ومنذ ذلك الحين، اسمه محفور في ذاكرة القلائد الذين
شهدوا حضوره. ولكن الأكثر رعباً من كل ذلك أن من
رآهم، أقسم أنهم لا يشيخون. أعمارهم ثابتة، وجوههم
لا تتغير، وكأن الزمن لا يجرو على المساس بهم
شيء ليس من عالمنا، شيء يجعل وجودهم... مريباً
إلى أقصى الحدود. نهضت وأنا ممسك بالأوراق
واتجهت نحو النافذة وقفت أمامها أتأمل الأوراق

مجددًا، أقرأها تارة، وتارة أخرى أنظر إلى الشارع

الممتد أمامي

كنت أحاول أن أفهم... لماذا تلك المنظمة

لماذا هم؟ ولماذا أنا؟

أسئلة كثيرة وغريبة كانت تدور في رأسي، عقل لا

يفقه شيئاً ولا يدرك ما يحدث، استدرت نحو السرير،

وألقيت بالأوراق على رف المكتبة بعشوائية، ثم بدلت

ملابسي، ارتديت ملابس جديدة، مميزة، وكأني أتهياً

لشيء غير مألوف، خرجت من الغرفة، وأخبرت أسر

قائلاً:

__ سأعود لاحقاً، لا تقلق

أوقفني أسر عند باب المنزل وسألني:

_إلى أين تذهب ؟

نظرت إليه وعيناي ملينتان بعلامات الاستفهام وقلت:

_دعني يا أسر، أحتاج لبعض الوقت وحدي

تركني، فغادرت المنزل، بل وغادرت المبنى بأكمله

صرت أتمشى بين الناس، ويدي في جيبي، أتأمل

وجوههم تارة، وأنظر إلى الأرض تارة أخرى

أفكر... ما الذي عليّ فعله هنا ؟

كل شيء من حولي غريب... وأنا لا أفهم شيئاً

أبعدت تلك الأفكار عن رأسي، وبينما كنت أسير، أخذت

أتأمل الأشجار التي تملأ الشوارع، والمباني ذات الطابع

الأوروبي الجميل. وفجأة، وبينما أنا غارق في تأملاتي،

اصطدمت بأحد المارة فسقطت أنا وهو أرضاً. رفعت

رأسي سريعًا، وحين نظرت إليه، وجدتها هي، أسرعت
لمساعدتها على النهوض، وحين وقفت، وقعت عيناى
على فتاة ذات شعر أشقر ووجه نقي كصفاء اللبن،
وعينين بُنيتين ساحرتين.

حركت شفتيها وقالت:

Entschuldigung_

ثم همت بالرحيل، ولكنني وقفت في طريقها
وسألتها بالإنجليزية، لغتي الثانية:

_ماذا قلت ؟

فأجابت بالإنجليزية ضعيفة قليلاً:

_أعتقد أنك لا تتحدث الألمانية

فأجبت وأنا أنظر في عينيها مباشرة:

_نعم، لا أتقنها

قالت وهي تبادلني النظرات نفسها:

_ماذا تريد أيها الغريب ؟

ظللت أهدق في عينيها، ولم أجب، فقلت:

_جميلة...

قطعت كلامي وسألت بحدة:

_ماذا ؟

ثم استدارت محاولة الابتعاد، فأمسكت بيدها بسرعة

وقلت:

_هل لي بطلبٍ واحد ؟

نظرت إلي وقالت بصرامة:

_لا.

أدركت أنني أخطأت، فحاولت تدارك الموقف وقلت:

_ لا تسينني فهمي، أردت فقط أن أرد لك الجميل

قالت مستغربة:

_ جميل ؟ أي جميل ؟

اقتربت منها قليلاً وقلت:

_ أجل على هذا الجمال، أنا مجرد شخص غريب، أعلم

لكنني شعرت بشيء مختلف، كأنني قابلت شخصاً يحب

المفاجآت، لذلك إن أحببت... فلما لا نتحدث لاحقاً؟

هناك، في ذلك المقهى .. وأشرت إلى المقهى الذي

يعمل به أسر، لم ترد الفتاة، واستدارت وغادرت دون

أن تنطق بكلمة. و وقفت مكاني، مدركاً أنني بالنسبة

لها... مجرد غريب الأطوار... حتى أنا أصبحت أمام

نفسي غريب الأطوار كيف أنا أفعل ذلك . عدت للشقة و
لأسر حينها بسرعة من كثرة الاحراج الذي كان بداخلي
و بعد عدة أيام عملت في المقهى وأيضاً أسر كان لديه
في المقهى مخبأ سري اسفل المقهى لا يعلمه أحد
كنا نتدرب به كل أسبوع عندما كان يغلق المقهى...
تدربت على كيفية حمل السلاح و بعض الحركات
القتالية، جعلتني تلك التدريبات شخص لا أعرفه لكنه لا
يقهر. تعلمت أيضاً الألمانية أخذت مني حوالي تسعة
أشهر، كل تلك التدريبات أتقنتها لدرجة كبيرة مما
جعلني توقفت عنها عندما رأى أسر أنني جاهز.
كنت مستغرباً جداً بأن "علي" لم يظهر بعد
لكن ذلك لم يُشغل بالي لأن كان هناك امرأ هام وهو أنا.

بدأت اتغير بطريقة غريبة تلك البيئة الاستخباراتية
تُغيرني لا أعلم كيف لكنني أشعر بذلك، تلك الحياة التي
لم أكن أتوقعها فأنا لم أكن سوى طبيب تحت التدريب أو
طالب في كلية الطب ليس إلا وتغير حالي فجأة من
شخص لا يحب الحياة وكان يظن أن الحياة لا تحبه
وحاول مرارًا الانتحار لكن الله افشلها كلها فقط لكي
اصبر وارى ذلك، حياة بعيدة عن بلدي لكنها في
خدماتها، مرفهة اصبحتُ الآن املك منزلي بسبب عملي
في المقهى... جاءت في بالي آية تقول :
"إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدرُ إنه بعباده
خبيرًا بصيرًا"

[سورة الإسراء : 30]

الفصل الخامس

(عودة ليلي)

نهضت من الفراش بعد أن استيقظت، ذهبتُ لأغسل

وجهي ... نظرت للمرأة وجدتي لا أستطيع التعرف

على نفسي، ليس في شكلي ولكن أنا، أنا من الآن؟

وهل تلك هي الحياة التي اريدها أم لا؟ ولماذا افكر في ذلك الآن لماذا ليس سابقًا قبل أن اوافق على ذلك العمل؟.

كل شيء آتي سريعًا اصبحت جاسوس في يومًا وليلة. خرجت من المنزل ذهبًا إلى المقهى لكي اعمل كالمعتاد فليس هناك شيء غير العمل، وصلت ووقفت احضر الطلبات التي تأتي إلي لكي ياخذها النادل للعملاء لكن بينما أنا اعمل أخذت افكر في شيء كان بالفعل يستدعي التفكير، لم أنا غريب؟.

لم لم افي بوعد لي ليلي التي كانت اول فتاة تدخل قلبي هل أنا شخصية منبوذة أم شخصية غريبة لا تتحمل المسؤولية و الوفاء بالوعد؟ كانت ليلي فتاة غريبة

وجميلة في نفس الوقت ... كان حديثها معي كأن هناك
ملاك يحدثني فلما يا عقلي لم تتذكر ولمَ يا قلبي لم تهتم
هل أنا شخصية بعيدة بالفعل كل البُعد عن الحب مثلما
كان يقولون في الجامعة عني؟ هل أنا الشخص الذي لا
يهمه الحب أم أنا شخصية غريبة مختلفة؟ ومع كل ذلك
ساظل اكره شخصيتي المختلفة، ساظل هكذا شخصًا لا
يهمه الحب .

وبينما أنا افكر واعمل بنفس الوقت، دخلت فتاة إلى
المقهى، تلك هي الفتاة التي اصطدمت بها خارجًا
غير معقول أن تأتي تلك الفتاة إلى هنا بعد ما فعلته
معه.

دخلت الفتاة المقهى لكن جلست على المقعد الذي اعمل

امامه مباشرة، نظرت إليّ وقالت بالانجليزية:

_قهوة رجاءً لكن بدون اصطدام تلك المرة

ابتسمت وجاءت لها بما تريده ووقفت امامه وقلت:

_إراكِ تجدين الانجليزية اكثر من المرة السابقة

الفتاة:

_أجل بالفعل أنا كنت اتحدث الانجليزية بطريقة خطأ

لكن تعلمته، تتذكر بالطبع تلك المرة التي رايتك بها

قلتُ وأنا مبتسم :

_أجل بالطبع، فأنا كنت غريب الاطوار وأنت الفتاة

الغريبة.

ابتسمت الفتاة وقالت:

_ كنتُ عائدة حينها من اول درس للغة الانجليزية.

قلتُ :

_حقاً؟

الفتاة:

_ أجل.

واخذنا ننظر لبعضنا البعض للحظة لكني سألتها قائلاً:

_ولماذا عدتِ؟

نظرت الفتاة إليّ وقالت بتعجب:

_هل تريد مني أن اذهب؟

سرعت قائلاً لتصحيح خطئي:

_ بالطبع لا، لم اقصد هذا

ابتسمت الفتاة وقالت:

_ امزح معك، ذلك بالتأكيد سؤال كنت تريد أن تسأله

لكن الحقيقة لا اعرف لما جئت أو لماذا؟

ابتسمت وقلت لها:

_ ما اسمك إذا ايتها الفتاة التائهة؟

ابتسمت الفتاة قائلة:

_ ادعى "آنا"

نظرت لها وكنت سأقول شيء لكن جاء طلباً آخر .

عدت لها قائلاً :

_ اهلاً بك إذا يا آنا في المقهى المتواضع

آنا:

_ ما اسمك أنت الآخر؟

جلست امامها وقلت:

_ ادعى "خالد"

تعجبت أنا من الأسم وسألت:

_ ماذا يعني؟

قلتُ لها مبتسمًا:

_ يعني الخالد، الذي لا يموت

آنا:

_ لكن جميعًا يموت أليس كذلك

ابتسمت قائلاً:

_ ليس شرطاً أن يكون الخلود بالجسد، يكفي أن نُخلد

في ذاكرة مَنْ يُحبنا حينها لا نموت.

آنا:

_ رائع.

اخذت اتكلم مع آنا طيلة عملي في المقهى وكان أسر
ينظر إليّ من وقت إلى آخر لكني لم اعطه أي اهتمام
لكنه متعجباً كان يظن بي أنني لا اتكلم مع أحد، لم أكن
مهتمّاً بتعجبه لكني كنتُ مهتمّاً بحديثها جلسنا سوياً
نتحدث عن معني اسم خالد، وعن مصر كان الحديث
معها مدهش، لا أعرف لكن هل حديثها مدهش أم أنا
مهتم أكثر مما ينبغي، لا اعلم

مرت الأيام وكانت تأتي أنا للمقهى يومياً ونتحدث سوياً
حدثتها عن كل شيء، عن ليلي، الحادثة. لم أقل لها
بالطبع أنني اعمل في المخابرات لكني اخترعت قصة

حتى اقول كيف آتيت إلى ألمانيا؟ وفي إحدى الأيام التي

نتحدث بها عن ليلى قالت لي شيء لم أكن اتوقعه:

_ أنت مضطرب.

تسألت باندهاش:

_ لماذا؟

آنا:

_ الذي يُحب شخص لا يخلف الوعود معه أبدًا مهما

كانت الظروف لكن أنت لم تكن في الوقت المناسب.

سألتها قائلاً:

_ كيف؟

آنا:

_ العقل، كان طرف هام في تلك العلاقة... أنت احببتها
لكن بقلبك فقط.

ابتسمت ساخرًا وقلت:

_ لكن ذلك هو الحب، هل أحب بالمعدة مثلاً؟
آنا:

_ لا يا خالد، الحب هو امرًا عظيم، عندما تُحب أحد
يجب أولاً أن تحبه بعقلك قبل أن تحبه بقلبك... القلب
مهم لكن العقل اهم، لم يكن عليك أن تستسلم كان يجب
عليك أن تبحث عنها.
سألتها مُتعبجًا:

_ لكن كيف؟ لقد اتصلت بها الالاف المرات لكنها لم
تجب ماذا سأفعل اكثر من ذلك؟

آنا:

_وذلك هو المضطرب، لا يعرف كيف يتصرف ولا يعلم

من أين يبدأ، كان يجب أن تبحث عنها أن كنت بالفعل

تحبها ... الحب لا يعلم الاستسلام، وذلك يعني أنك لن

تُحب ابداً.

قلت بها بتوتر :

_ لكني أحببتك.

ابتسمت آنا قائلة:

_ كان لا يجب أن تفعل ذلك لأنني لست موجودة

تسألت في تعجب:

_ كيف؟

آنا:

_ أنا لست سوى مجرد وهم يحتاجه عقلك.

بعد أن قالت ذلك ذهبت أنا، لكن ليس خارج المقهى

لكنها خرجت كالغبار كأن لم يكن لها وجود...

سقطت أرضاً بعد ذلك.

استيقظت جالساً على سرير في يدي حبلاً يتصل

بالمحلول الملحى، وعلى الجانب الآخر كان يجلس أسر

وهو شبه نائم تقريباً. ظللت أنظر إلى الأعلى احدث

نفسي بكيف ولماذا؟

كيف حدث ذلك ولماذا الآن؟

تذكرت حديثها عن الحب، فكان حديثها صحيح بالفعل

أنا شخص مضطرب ولم أكن اعرف معنى الحب، كم

أشتاق لليلي وكم احببت أنا التي كانت مجرد وهم.

قطع حبل افكاري أسر بعدما استيقظ وقال ليظمنن:

_ هل أنت بخير؟

قلتُ:

_ أجل لا تقلق

آسر:

_ ماذا بك يا صديقي؟ هل أنت بخير؟

قلت له متسائلاً:

_ لكنك كنت تنظر إلينا؟

تعجب أسر لانه لم يفهم عن ماذا اتحدث وتسأل قائلاً:

__ ماذا تقصد؟

قلت له مسرعاً:

__ أنت كنت تنظر إلينا عندما كنا نتحدث أنا وهي

بالمقهى.

آسر:

__ ماذا تقصد ب "إلينا"؟

تذكرت شيء وعدتُ به قائلاً:

__ هل تتذكر تلك الفتاة التي اصطدمت بها إمام المقهى؟

آسر:

__ أجل.

قلتُ :

_ تلك هي الفتاة التي كانت تأتي إلى المقهى، كنتُ

أتحدث معها.

آسر:

_ أنا نظرت لك لأنك كنتُ تُحدث نفسك وتضحك أيضاً

كنت استغرب مما تفعله.

لم اتكلم مرة أخرى بعد أن علمت الآن أن بالفعل "أنا"

مجرد وهم، لكن آسر تكلم مرة أخرى قائلاً:

_ لقد ظهر "علي" مرة أخرى.

تفاجعت لأنني أخيراً سوف اعمل، تبسمت وقلت

لآسر:

_ يجب أن نذهب الآن إذا.

آسر:

_ لا، ليس الآن فأنت متعب.

نفيت ذلك بسرعة فأنا لست مُتعبًا، فحاولت أن انهض

لكي اثبت لآسر أنني بخير لكن مع تلك المحاولة لقد

فقدت توازني وجلست على اطراف السرير، فقال آسر

مرة أخرى:

_ صدقتي يا خالد أنت مُتعب، حين سقطت أرضًا في

المستشفى لم تسقط بطريقة طبيعية، أنت سقطت على

راسك أولاً.

وضعت يداي على رأسي فشعرت بذلك الشيء الطبي

الذي يتلف حول رأسي.

اردف أسر قائلاً:

_ فقط ارتاح وعندما تتعافي قليلاً فسوف نذهب من هنا.

قلت له وأنا احاول أن اعود للنوم على السرير:

_ اريد الطبيب، قم بنداء الطبيب يا أسر.

فنهض أسر وذهب لكي يأتي بالطبيب، وانتظرته وأنا

انظر إلى الأعلى افكر ما الذي يحدث لي؟ ولماذا؟

لماذا كل هذا، هل أنا السبب في كل شي يحدث لي أم

هناك شيء يحاول السيطرة عليّ؟ كل ذلك كان لا يجب

أن يحدث فأنا لست سوى مجرد طالب في كلية الطب

كنت انتظر ذلك الحلم طيلة دراستي، لكن لم يحدث كل

هذا.

قررت أن لا استسلم فحاولت النهوض اكثر من مرة
وبالفعل نهضت فكان رد الفعل بأن راسي بدأت تؤلمني
لكنني لم استجيب للألم والدوران فسيرت قليلاً إلى
الخارج لكن الألم يزداد اكثر لكنني اكملت في عدم
الاستجابة، وفجأة الألم ذهب كأن شيئاً لم يكن واستعدت
توازني واكملت السير لخارج الغرفة وذهبت إلى اليمين
لكي ارى شيئاً لم أكن اعرف بأنني سوف اراه مرة
أخرى، وهو الشعر، شعر تلك الفتاة يشبه كثيراً شعر
ليلي فهو كان اصفر اللون مثل ذلك وأيضاً ذلك الحلوى
الذي باذنيها يشبه كثيراً، ذهبت بجانب تلك الفتاة لكن
كان بيننا مسافة صغيرة فوجدتها تشبه ليلي أن لم تكن
هي في الأصل ليلي، اقتربت منها وكل خطوة كانت

انادي بأسمها(ليلي)، لم تنظر لکني ربطت على کتفها
فالتفت ورايتها، كانت هي بالفعل لكنها اعتذرت
بالألمانية وقالت انها ليست ليلي ولا تعرف أحد بذلك
الأسم. ومن بعيد رأني أسر وركض نحوي مسرعاً
وعدنا إلى الغرفة بعد أن اعتذر أسر لها وقال أنني فقط
مريض مُتعب، جلست على اطراف السرير وأمامي
أسر وبدا الحديث قائلاً:

_ ماذا تفعل يا خالد؟ هل تثبت لي أنك بخير؟

حاولت أن اتکلم لكنه اكمل بغضب :

_ كل شيء تفعله يضرك يا خالد، كل شيء.

نهض أسر وخرج من الغرفة وبقيت أنا جالساً على
السرير انظر إلى الارض حتى سمعته يدخل مرة أخرى.

لم انظر إليه لكنني بدات قائلاً بتعب:

_ أنا لا اصلح لذلك العمل يا أسر، أنا اريد العودة لمصر

أريد أن افقد تلك الوظيفة كما فقدت كل شيء فأنا لست

اهتم بعد الآن، لقد فقدت عائلتي وفقدت حبي ولم يبق

لي شيء آخر حتى حق عائلتي سوف اتركه، وتلك

الفتاة التي وجدنتني اقف معها في الخارج كانت تشبه

حبيبتي ليلي لقد اصبحت اراها في كل مكان، كل حي

وفي كل فتاة، لذلك لا تغضب لكنني سوف اذهب

وسأستقيل.

نهضت ورفعت رأسي لكي انظر لآسر لكنه لم يكن آسر

بل كان تلك الفتاة التي كنت اقف معها بالخارج، كانت

ليلي.

تسمرت مكاني لا اعرف ماذا افعل، اقتربت إليّ

وقالت ببكاء:

_ وأين كنت؟ أين كان أسامة الذي احبته ولم يفني

بوعده ليّ؟

لم اعرف ماذا اقول لكنها اكملت قائلة:

_ أسامة الذي احبه عقلي قبل قلبي، الذي احبته أكثر

من نفسي ولم أنساه لو للحظة.

لم أشعر بنفسي سوى وأنا احتضنها، بعدها جلسنا

نتحدث لماذا أنا لم آتي إليها لم اكذب لقد قولت لها عن

المخابرات وأيضاً عن المهمة التي آتيت لأجلها لكنها

فجاءتني:

_ وأنا أيضاً .

قلت لها مستغرباً:

_وأنت ماذا؟

ليلي: أنا هنا أيضاً لأنتقم لأمي.

تفاجأت بذلك كثيراً لم اسأل كيف و لم اسأل عن أي

شيء؟، بل اختصرت كل شيء بأبتسامة لكنها بالطبع

ستسأل:

_لماذا تبسم؟

أجابتها وأنا متبسم مرة أخرى:

_كنت أعتقد أنني فقدت كل شيء .

ليلي بأبتسامة:

_وأنا أيضاً.

قلت لها:

_ هيا بنا نذهب

ليلي :

_ ألسْتُ مريضاً؟

تبستمت لثلاث مرة وقلت:

_ أنا لستُ مريضاً، إلا قبل أن أراكِ

ليلي:

_ وإلى أين سنذهب ؟

وقبل أن اتكلم دخل الغرفة أسر وهو مستغرباً من تلك

وكيف آتت هنا؟

فنهضنا أنا و ليلي وقلت له:

_ هذه ل

لكنها قاطعت وقالت:

_ أنا إيمان.

ففهمت ماذا تقصد وقال لها أنه يدعى أسر بعد ذلك
ذهب أسر بعدما علم أنني سأذهب مع إيمان لأنني لم
أرها منذ كثير وجعلته يعتقد أنها مجرد صديقة قديمة
من المدرسة .

_ الساعة الحادية عشر والنصف.

كانت تلك اجابتي بعدما سألتني ليلي عن الساعة ونحن
نسير بالشارع
ليلي:

_ لقد مر عام وشهرين، ثلاثة ايام واربعة ساعات

أسامة:

_ أعلم لقد تأخرت كثيرًا للأعتذار

ليلى:

_ ماذا تفعل هنا، لا تقل إلا الحقيقة يا أسامة

أسامة:

_ كما قلتُ لكِ فأنا

قاطعت ليلى قائلة:

_ أعلم تلك الحقيقة لكن بعينك حقيقة أخرى

أسامة:

_ لم يكن أنا الذي اسير، بل عقلي يا ليلى فهو الذي

أصر على الانتقام و لم أجد مهربًا آخر سوى ذلك

الهروب يا ليلى لم أجد سوى (الهروب)

ليلى:

_ جاسر .

توقف أسامة وسأل مستغرباً:

_ ماذا؟ هل تعرفين جاسر؟

ليلى توقفت وقالت:

_ جاسر هو من أرسلني إليك، كان يعرف أن مصالحنا

واحدة وهي الانتقام تدربت هناك، تعلمت كل شيء

وجاءت منذ اسبوعين بعدما جاسر قرر أنني مستعدة

وها أنا الآن اعيش مع صديقتي وهي أيضاً هنا لنفس

السبب وهو البحث عنه .

أسامة :

_ عن "علي"

ليلي:

_ أجل عن "علي" و الأخبار السارة أننا عثرنا عليه
منذ قريب، لا يعرف أحد أننا هنا سواك فأن أسر لا يعلم
أننا هنا .

أسامة:

_ لكن "آسر" قال ليّ بأنه بمفرده في تلك البلاد

ليلي:

_ أجل كان بمفرده فأن صديقتي تلك هي عميلة خاملة
وتم تنشيطها عندما جاءتُ إلى هنا و أسر لا يعلم بعد
لقد تقدمنا كثيرًا فأن "علي" ظهر مرة أخرى في برلين
وكان في بنك هنا في برلين يدعى (برلينر) بالتأكيد
تعرفه

أسامة:

_أجل، لكن ماذا كان يفعل هناك ؟

ليلى:

_لقد سحب مبلغ ضخم من شخص مجهول الهوية

ولكن ذلك الحساب بأسم (فانتوم) أي يعني الشبح

بالإنجليزية، ذلك الحساب مشفر بمعنى أننا لا نستطيع

تعبه أو أي شيء

أسامة:

_لكن نستطيع القبض على (علي)

ليلى:

_هناك أمرًا صغير فقط، بأننا لا نستطيع تعقبه أو حتى

تخمين متى سيظهر مرة أخرى

أسامة:

_ لا أعلم لكن بتأكيد هناك حل

ليلي:

_ كيف ؟

أسامة:

_ بتأكيد البنك لديه عنوان الشخص الذي يدعى (فانتوم)

ليلي:

_ عندما ذهبت إلى البنك علمت أن ذلك الحساب مؤقت

وتم إغلاق الحساب بعد ذلك

سأل أسامة بعد لحظة صمت وإكمال سيرهم :

_ في أي بنك يكون العنوان و اسم الحساب مدونين

لديهم، حتى لو تم إغلاق الحساب

ليلى:

_ هل تريد تتبع (فانتوم)؟ لكن ذلك خارج المهمة

أسامة:

_ لذلك سيكون الأمر بيننا فقط

ليلى:

_ ماذا لو تم كشفنا ؟

أسامة:

_ سوف نقتل أو على الأقل سوف يتم استبعادنا من

الاستخبارات

ليلى:

_ وهل تظن أن ذلك أمر سهل ؟ سوف نقتل يا أسامة

هل تفهم معنى الكلمة أم مُغيب لا تستطيع الفهم

أسامة:

_ أعلم ذلك يا ليلي لكن لا يوجد حل آخر، هل لديك حل؟

ليلى:

_ لا، ليس لدي

اخذوا يسيرون طويلاً حتى اقتربت ليلي من منزلها

لكنهم لا يتكلمون، وقفت ليلي فجأة وقالت:

_ حبيبة

أسامة:

_ تقصدين حبيبك؟

ليلى:

_ لا، اقصد فتاة تدعى "حبيبة" لقد تعرفت على تلك

الفتاة منذ قريب فهي فتاة مصرية تقابلنا في الطائرة

أسامة:

_ ولماذا تذكرتيها الآن ؟

ليلى:

_ إذا كنا نريد الدخول للبنك أو التحقق من شيء هناك

فلا يجب علينا الدخول لكن ممكن أن نستدعى أحد

ليدخل

أسامة:

_ تقصدين ...!

قاطعت ليلى اسامة بأبتسامه قائلة:

_ أجل

أسامة:

_ لكن ماذا سوف نقول لها ؟

ليلى:

_ اترك لي ذلك الأمر

تفاجأنا بأحد ينادي من فوق ويقول (إيمان) نظرنا
مباشرة إلى الأعلى لكي نشاهد حينها فتاة بعمر ليلى
تقريبًا .

نظرت ليلى مرة أخرى مبتسمة لأسامة وقالت:

_ وتلك هي "سلمي" العميلة التي كانت خاملة

أسامة بابتسامة:

_ لم أكن اتوقع أنها شابة كنت اتوقعها كبيرة في السن

قليلاً

قالت ليلى وهي تنظر لأسامة:

_ لقد سعدت برويتك مرة أخرى يا أسامة

كانت سترحل لكن أسامة مسك بيدها وقال لها:

_ أريد أن أقول شيء

وقفت ليلى وقالت:

_ ماذا؟

اسامة بأبتسامة خبيثة :

_ وماذا سوف نقول لتلك الفتاة التي تدعى "حبيبة"

تفاجأت ليلى وقالت:

_ أيها السخيف. وقامت بضربه على كتفه

وكانت سترحل مرة أخرى ولكن أيضاً تمسك أسامة

مرة أخرى بيدها وقال:

_ وأنا أيضاً أحبك ... ها أنا نطقها لأول مرة بحياتي

كما فعلتِ أنتِ

وقفت ليلى والتفت لأسامة ولكن أسامة لم يفكر كثيرًا
قام بضمها بين ذراعيه وشعر أخيرًا أن روحه وجدت
موطنها الحقيقي، ووجد الذي كان يبحث عنه عندها
علم لماذا لم يأتي والداه في احلامه مرة أخرى
ولماذا لم يكن بخير

الفصل السادس

(ال..حب)

ذهب أسامة إلى منزله وهو لا يصدق ما رآه، وكيف
كيف بعدما فقد الأمل في رؤيتها مرة أخرى فكيف ذلك
استلقى على الفراش ينظر إلى الأعلى يفكر، يفكر كيف
كأن الله يعلم ما بباله وكأنه يراه ويشاهده وهو حزين
وفقد الأمل في الحياة، ولم يصدق كيف كانت بعد ذلك لم
تغضب وتفهمت أمرى ... عجائب الله لا يصدقها أحد
هل الله يرانا وينظر في قلبنا ويشعر بنا، يستمع لألامنا
فالحمد لله ... لا يوجد خيرًا إلا من الله .

استيقظ أسامة في الصباح على رسالة من ليلي تقول

بها :

_ سوف ننتظرك أنا وحبيبية بالمقهى أمام البنك

كانت هناك رسالة أخرى من أسر :

_ أسامة لن نفتح اليوم المقهى فأنا سوف ذاهب إلى

أحد اصدقائي

اغلقت الهاتف و نهضت لكي ارتدي ملابسى وبعد عدة

دقائق كان أسامة جاهز تمامًا للذهاب إليها، لا يعلم ماذا

سيحدث لكنه يتمنى أن كل شيء يسير وفق ما يريد

وأن لا تتعثر المهمة، لكنه يثق بالله وبقدرته، كان

أسامة متوترًا جد لأنه يعلم إذا شك ذلك البنك في شيء

من الممكن أن يخرب المهمة بالكامل ويضع كل أماله

الآن على تلك الفتاة التي تدعى (حبيبة)، فأخذ يفكر
ماذا لو لم تنجح بذلك ... وبعد كثير من التفكير بسيارة
الأجرة التي صعد إليها حتى يذهب مسرعاً، وفي ظل
تفكيره قاطعه سائق السيارة بلكنته الالمانية :

_ لقد وصلنا يا سيدي، وسعر تلك التوصيلة 25 يورو
انتبه اسامة إلى السائق ودفع له ثم خرج من السيارة
لكن قبل أن يرحل، قام السائق بالنداء له فعاد أسامة له
قائلاً :

_ ماذا تريد ؟

السائق :

_ لا تشغل بالك في التفكير

أسامة:

_ وكيف عرفت أنني أفكر ؟

السائق :

_ عيناك تفصح امرك يا فتى ... لا تشغل عقلك كثيرا

فأنا كنت مثلك مسبقاً، اترك بعض الأمور للأقدار

بعد أن قال السائق تلك الكلمات انطلق بالسيارة بعد أن

ترك أسامة يفكر فيما قاله ... وبعد دقائق من التفكير

ذهب إلى المقهى وتعرف على تلك الفتاة التي تدعى

حبيبة بعد أن قدمتها له ليلى لكنهم لم يقولوا اسمائهم

فهي تعرف أن ليلى معروفة بأسم (إيمان) وأسامة

معروف بأسم (خالد) ولن تعرف اكثر من ذلك بالتأكيد

لعدم كشف المهمة

بدات حبيبة في التحدث قائلة :

_ إذن، كيف سادخل للبنك ؟

أخرجت ليلى ورقة من حقيبتها ثم قالت :

_ بتلك الورقة فقط

حبيبة وهي تنظر للورقة :

_ ما تلك الورقة ؟

ليلى (إيمان) :

_ أمر قضائي، فأنا بالتأكد لن يدعك أحد بالداخل أن

تسألي بحرية عن حساب شخص لأنهم لديهم نظام

دقيق ومنظم لذلك يجب عليكي الدخول بأمر قضائي أو

تصريح من صاحب الحساب، ولأننا لا نعرف مالك

الحساب فأتينا بأمر قضائي

حبيبة :

_ لكن من الممكن أن ينكشف امرين ماذا سأفعل حينها؟

اخرجت ليلى (كمامة طييبة) من حقبيتها ثم قالت:

_ بذلك لا يستطيعون التعرف عليك من خلال الكاميرات

حبيبة :

_ هل هذا كل شيء ؟

ليلى (إيمان) :

_ أجل، ذلك هو كل شيء

نهضت حينها حبيبة و متجهة إلى البنك وكان أسامة

ينظر إلى ليلى بتعجب فإنه لم ينطق أي كلمة منذ أن

آتي من الدهشة و عقل ليلى الجبار. حينها نظرت وهي

تعرف أن عليه علامات التعجب

فسألت بأبتسامة :

_ ما بك

أسامة :

_ كيف ؟

ليلى بمكر :

_ مهارات

أسامة :

_ ماذا لو الخطة فشلت وتعرفوا عليها بعد قليل أو حتى

علموا أن تلك الأوراق مزورة ؟

ليلى :

_ تلك الأوراق لن تكون مزورة لأنها مختومة بختم

الحكومة الألمانية، ولن تفشل الخطة

أسامة :

_ ماذا لو ...

قاطعته ليلى :

_ لا تقلق فهي سوف ترحل من البلاد غداً عائدة إلى

مصر، وأيضاً إذا حدث شيء في الداخل الآن فأن

(سلمي) بالداخل

أسامة :

_ لكن أنت لم تذكرني ذلك لها، لماذا ؟

ليلى :

_ حتى لا تنظر إليها فأنها تعرفها لقد زرتنا منذ قريب

وأن تعرفت عليها فسوف تنظر إليها مما سيثير

الشكوك حولها و حول (سلمي)

أسامة :

_ جاسر أحسن تعليمك

ليلى :

_ بل أنا اتعلم سريعاً

بعد صمت لا يتجاوز الثانية وهما ينظران إلى بعضهم

البعض سأل أسامة قائلاً :

_ هل تريدان شيء منه هنا ؟

ليلى :

_ قهوة لكن بدون سكر

قام حينها أسامة بالنداء على النادل حتى يتأخذ طلابهم

و بالفعل حدث ذلك، وظل أسامة ينظر إلى البنك الذي

كان أمام المقهى مباشرةً لكن يفصل بينهما شارع

كانت حينها ليلى تنظر إليه بأعجاب لكنه لم يلاحظ ذلك
مما اثار ازعاج ليلى و كثرت الاسئلة بعقلها لكن أسامة
قال فجأة وهو ينظر إلى البنك :

_ لا تشغلين بالك في التفكير

ليلى :

_ وكيف عرفت أنني افكر ؟

أسامة وهو مستمر في النظر إلى البنك:

_ عيناك تفصح أمرك

ليلى :

_ وكيف علمت هذا وأنت تلتفت إلى البنك وتشاهد

المارة

التفت أسامة إليها وقال بأبتسامة :

_ نعم يا ليلي مازلت احبك، هل لم يكن ضمك كافيًا

ودليلاً قاطع على أنني مازلت احبك

ليلي :

_ ماذا تقول ؟

أسامة :

_ أقوم بالأجابة على سؤالك الذي يدور برأسك

ليلي بأبتسامة :

_ وأنا أيضاً لكني ساظل اذكرك تلك المرة التي خلفت

بوعذك بها وتركتني

اقترب أسامة بيده حتى يمسك بيد ليلي ثم قال :

_ كانت غلطة ولن تتكرر، سأفي بوعدتي دائماً أقسم لك

ليلى :

_ من جهة أنها لن تتكرر فأنها بالفعل لن تتكرر لأنني

لن اتركك تكررها لاني سأقتلك

ابتسم أسامة وقال:

_ سأفي بوعدى تلك المرة، وسأتزوجك قريباً بعد أن

نأخذ حق عائلتنا ...

قطع تلك اللحظة النادل وهو يقدم لهم طلباتهم لكن

استكمل أسامة قائلاً بخبث :

_ أم أنت تريدين الزواج الآن ؟

ليلى بخجل :

_ لا ليس الآن، كما قلت يجب علينا أولاً أن نستريح

من ضميرنا وبعد ذلك ينتهى الأمر بزوجنا

أسامة وهو يلتفت إلى البنك مرة أخرى :

_ حسنًا كما تشائين

وبعد دقائق من الصمت قالت ليلي :

_ ماذا سنفعل حين نرى " علي " وهو المشارك في

قتل عائلتنا ؟

التفت أسامة وقال بعد أن عقد أصابعه :

_ سوف اقوم بتعذيبه كما فعل بنا هو و منظمته ولن

انتهي ولن اشعر بالشفقة عليه في تعذيبه

ليلى :

_ نأتي به فقط وأنا اقسم سوف اجعله يتمنى الموت كما

قتلوا عائلتنا، لا أعلم لماذا يفعلون ذلك و لأجل ماذا ؟

لم افهم أبدًا عقلية الأشرار في طغينهم و شرهم

أسامة :

_ أشياء غريبة تحدث لذلك العالم الغير مفهوم

ليلى :

_ الحقيقة أن ذلك العالم ...

وقبل أن تكمل ليلى وجدت حراس الأمن يخرجون

(سلمي) إلى الخارج بقوة، وذلك شيء عجيب فأن

المتوقع كان (حبيبة) ولكن غريبة، تقدم أسامة فوراً

لكي يساعدها و ذهب بها إلى المقهى لكي تجلس معهم

ليلى بذعر :

_ ماذا حدث ؟

سلمي :

_ لا تقلقي المهمة بخير، أنا من فعلت بعض الشغب

أسامة :

_ لماذا ؟

سلمي :

_ لأنني كنت العب طفل صغير ولكن والدته ظنت أنني

اتحرش به

أسامة بضحك :

_ لا تعليق

ليلي بأبتسامة :

_ ماذا فعلتِ بالطفل ؟

سلمي بغضب :

_ اتسخران مني الآن ؟ لو لم أكن بالداخل كانت تلك

الفتاة المسكينة تم القبض عليها

أسامة بضحك :

_ كنت خائف لينكشف أمرنا بسبب (حبيبة) ولكن لم

أتوقع ذلك بتاتاً

غضبت "سلمي" منهما ورحلت من المقهى على

الرغم من اعتذار أسامة على السخرية منها ولكن هي

أصرت على الرحيل بعدما قالت له ليلى أن يدعها ترحل

ولم يمر سوى بضع دقائق وشاهدًا كليهما (حبيبة)

تخرج من البنك و في يديها الكثير من الورق، عائدة

إلى المقهى مرة أخرى

قالت ليلى بعدما جلست حبيبة :

_ ماذا فعلتِ ؟

حبيبة :

_ لقد علمت كل شيء عن ذلك الحساب الذي بأسم

(فانتوم) وكل شيء في تلك الأوراق

وضعت حبيبة الورق ثم ودعت ليلي و اردفت قائلة:

_ كل ذلك لأجلك لا تنسي أن تتكلمين معي بين الحين

والآخر على الهاتف فقد اشتاق إليك

ليلي بضيق :

_ لا تقلقي، فإن اردت رؤيتك فلدي طريقي الخاصة

ضمت حبيبة ليلي ثم رحلت، لكن أسامة قال مستغرباً :

_ طريقتك الخاصة ؟

ليلي :

_ حديث فتيات لا تتدخل

أسامة و هو ينظر إلى الورق :

_ لا يهم الآن، ماذا سوف نفعل بتلك الورق ؟

ليلى :

_ لا علينا سوى القراءة

أسامة :

_ حسنًا

وبعد عدة ساعات و غياب الشمس أخيرًا انتهى كلاهما

من قراءة الورق وفهم ماذا يحدث وبدأ أسامة قائلًا :

_ تبا ذلك الحساب كان به 2مليون يورو

ليلى بتعجب :

_ ذلك أمر عجيب، في السجل تم ذكر أن الحساب كان

مؤقت وليس ذلك فقط، مدة الحساب كانت عامين

أسامة :

__ لماذا ؟

ليلى :

__ ماذا تقصد ؟

أسامة :

__ اقصد لماذا سنتين ؟ ، ماذا حدث في ذلك الوقت ؟

ليلى :

__ يوجد بالسجل أيضًا بأنه كان يتجدد مبلغ قدره 20

الف دولارًا كل شهر تقريبًا

أسامة :

__ هل يوجد اسماء ؟

ليلى وهي تنظر للسجل مرة أخرى :

_ هناك اسم شخص واحد فقط كان يتكرر وهو

(عثمان اغلو)

أسامة بضحك هستيري :

_ ماذا ؟!!!

ليلى بضحك :

_ لا تضحك هكذا، تفضل اقرأ

و بالفعل أخذ أسامة السجل من ليلى ووجد أن الأسم

كما قالت (عثمان اغلو)، فأخذ يضحك مرة أخرى بسبب

الأسم لكن قاطعت ذلك ليلى قائلة :

_ لماذا تضحك ؟

أسامة بضحك :

_ لم اتوقع ابداً بأن سيكون الاسم هو اسم بطل من

افلام (تركية) التي احبها

ليلى بأستغراب :

_ افلام ماذا ؟

أسامة :

_ افلام تركية كبيرة لن تعرفيها، لكن هو مضحك بعض

الشيء

ليلى :

_ لكن الآن، ماذا يعني لنا ذلك ؟

أسامة :

_ لا يعني سوى الضحك الآن

ليلي بتعصب :

_ لا تضحك مرة أخرى

أسامة :

_ حسنًا انتهيت من الضحك، ولكن لا أفهم شيء، سوى

أنه تمويه ولكن هل يذكر العنوان ؟

أخذت ليلي السجل من أسامة ثم أخذت تبحث في

الصفح حتى توقفت وقالت :

_ يوجد عنوان و رقم هاتف أيضاً

أسامة :

_ ما هو العنوان ؟

ليلي :

_ عنوان غريب

أسامة :

_ ما هو إذا ؟

ليلى :

_ نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية

أسامة :

_ ماذا ؟!

ليلى :

_ انتظر لم انتهى، طربزون على حفة شمال تركيا

أسامة :

_ لماذا العنوان بالتفصيل ؟

ليلى :

_ الغريبة أيضًا أن اسم "علي" مذكور بشكل طبيعي
لماذا إذا ذلك الشخص فقط هو يسمى بذلك، والأغرب
أنه لا يوجد سواه و "علي" المذكرين في السجل، فهل
ذلك يعني أن التعامل كان بينهم فقط من خلال ذلك
الحساب ؟

أسامة :

_ ولماذا شخص يأتي كل شهر من تركيا إلى برلين فقط
لكي يدفع 20 ألف دولارًا ؟

ليلي :

_ تلك القصة غريبة

أسامة :

_ لن يجيب على كل تلك الأسئلة إلا شخص واحد

ليلى :

_ مَنْ ؟

أسامة :

_ اريد الرقم المدون في السجل

ليلى بأستغراب :

_ هل ستتصل به ؟

أسامة :

_ لكي نبحث عن تلك الأجابات ونصل لحل

ليلى :

_ لكننا نحتاج إلى هواتف مشفرة

اخرج أسامة من جيبه هاتف ضخم ثم قال:

_ ألم يعطيك جاسر مثل ذلك الهاتف

ليلي :

_ لا، لم يفعل

أسامة :

_ الآن، قومي بقراءة الرقم

ليلي :

_ حسنًا، 67 45 123 530 +90

قام أسامة بكتابة الرقم و وضع الهاتف على آذنه

ليلي بتعجب :

_ لن يكون غريب لو لم يرد وهذا ما أشك به، لكن لو

بالفعل رد سيكون الأمر غاية في التشويق

أسامة انزل الهاتف ووضعه بجيبه مرة أخرى بخيبة

أمل ثم قال :

_ لم يرد أحد

ليلى بغضب :

_ كنت أعلم ذلك، اعتقد أيضاً بأن الرقم مزيف كأسمه

أسامة :

_ على كل حال سيبقي الرقم معي، سوف احاول في

وقتاً لاحق

ليلى بضيق :

_ هل تريد أن نسير قليلاً

أسامة :

_ هيا بنا

نهضا كلاهما بعد أن وضعت ليلى الورق في حقبيتها ثم

ذهبوا للسير، وبعد السير في صمت تام قررت ليلى

كسر ذلك الصمت وقالت :

_ ماذا سوف نفعل ؟

أسامة :

_ لا أعلم، لا اعرف شيء

ليلى بضيق :

_ هل اخطئنا ؟

أسامة :

_ لا، ولكن يجب علينا الاستمرار في المحاولة

ليلى :

_ وهل سنصل ؟

أسامة :

_ بتأكيد سنصل لأنني اريد الانتقام يا ليلي

ليلى :

_ وأنا أيضاً

عاد الصمت مرة أخرى وشعرت ليلي بأن أسامة توجد

بفيه علامات الشك، الشك في الطريق لحل المسألة

فقررت أن تتكلم قائلة :

_ولماذا ؟

أسامة :

_ لماذا ماذا ؟

ليلى :

_ تلك العلامات التي تظهر على وجهك

أسامة :

_ وهل ترين علامات ؟

ليلى :

_ ارى بعضاً من القلق و التفكير الزائد

أسامة :

_ أجل بالفعل، لدي بعض الشكوك في طريق الانتقام و

تلك المسائل التي كنا قاربين من حلها

ليلى بأبتسامة لتخفف عنه :

_ هل مازالت تحب ليلى ؟

أسامة بأبتسامة :

_ بالطبع لما لا، بل أنا اعشق حتى صوتها

ارتسم الخجل على ملامج ليلى، ثم همست بصوت

رقيق متردد :

_ بعد كل ما حدث، مازلت تنظر إلى بعين الحب ؟ أم

مللت و قد أثقلتك الأيام

قال أسامة و هو يبتسم ابتسامة هادئة :

_ و كيف يمل القلب من روحه ؟ إنك يا ليلى لست

عابرة في حياتي، ولا ظلا يزول بانقضاء النهار بل أنت

الأصل الذي برحت أعود إليه، ما زلت في عيني البدر

حين يكتمل و النور حين يسطع، الندى حين يتناثر على

صفحات العمر

صمت قليلاً ثم اكمل :

_ كل لحظة تمضي تجعلني أزداد يقينًا أن حبي لك ليس

طيفًا عابرًا بل قدر كتب عليّ منذ أول لقاء

خففت ليلي بصرها إلى الأرض و ارتجفت أصابعها

وهي تعبت بطرف ثوبها، ثم قالت بصوت رقيق :

_ ظننتك قد نسيت، بل ظننتك كسائر البشر، تمضي

حين تثقل الذاكرة بالوجع، أما أنا، فقد كنت استيقظ كل

يوم و في قلبي سؤال واحد : هل مازلت تذكرني ؟

اقترب أسامة قليلاً و كأنه يريد يذيب الحاجز الخفي

بينهم و قال :

_ كيف انساك، و ليلي عندي ليست ذكرى من الماضي

بل حياة ممتدة في الحاضر، لقد حاولت مرارًا أن اخدع

نفسي بالنسيان، أن اشيح ببصري عن صورتك التي

تطاردني في كل مكان ، و لكن عبثاً فما إن اغمض
عيني حتى اراكِ أمامي تبترسمين بالمشفى، تضحكين أو
حتى تتعابين

رفعت ليلي رأسها قليلاً و عيناها تلمعان بدموع حائرة
بين الانسياب و الكتمان قائلة :

_ أسامة أحقاً تقول ما تقول ؟ إنني أخشى أن يكون
كلامك انعكاساً لذكرى قديمة، لا حقيقة لها في قلبك
اليوم

سار أسامة مقترباً منها قليلاً و قال :
_ لو كانت ذكريات يا ليلي لانطفأت، ولكنها شُعلة تكبر
كلما مرت الأيام، إنك في داخلي اعمق من مجرد صورة
إنك نبض و النبض لا يُمحي

ساد صمت قصير بينهما، لم يكت صمتًا فارغًا بل كان
مكتظت بالمشاعر المخبأة، كان كلاهما يخشى أن
يفيض قلبه في لحظة فيفضحه، و لكن قالت ليلي :.
_ لقد عشت تلك الفترة أقاوم قلبي، أقنع نفسي أن البعد
أهون من التعلق، ولكن ها أنا الآن أمامك، أشعر أن كل
تلك الفترة كانت فراغًا لا يساوي شيئًا
ابتسم أسامة، و ارتسمت على وجهه ملامح الانتصار
الهادئ و قال :
_ و ها أنا أيضًا أقسم أنني ما عشت إلا على أمل هذا
اللقاء، كم من ليالٍ ساهرة ناجيت فيها الله أن يجمعني
بك من جديد، حتى صارت الدعوة جزءًا من انفاسي

تنهدت ليلي و كأنها تزح عن صدرها حملاً ثقيلاً ثم

قالت :

_ كنت اهرب من صورتك في خيالي، ولكنها كانت

تلاحقتي، كنت اخشى مواجهة هذا الشوق حين كنت

اعمل في المشفى، لأنني ظننتك قد اغلقت الباب إلى

الأبد

مد أسامة يده بلطف و لمس اطراف اصابعها بخفة

كمن يختبر الحقيقة بعد طول وهم و قال :

_ وها أنا أمامك، لم اغلق باباً يوماً، و لم اوصد قلبي

عنك لحظة واحدة، كنت دائماً هنا، في داخلي تضيئين

ظلمتي

ارتجفت ليلى تحت وقع لمستته و غمرتها رهبة الموقف

ممزوجة بلذة غريبة، فأطرقت رأسها و قالت :

_ أن قلبي يضعف أمامك، وكل ما فيّ ينهار حين

تكلمني هكذا

ابتسم أسامة ابتسامة عميقة و قال :

_ بل قلبك يقوى بي يا ليلى، كما يقوى قلبي بكِ

تناثر صمت جديد، لكن هذه المرة لم يكن صمت تردد

بل صمت سكونية كأنهما وجدا ملأاً آمناً في حضرة

بعضهما

لكن ليلى قالت بنبرة خوف و رجاء :

_ أسامة 3

أسامة و هو ينظر إلى عينيها :

__ ماذا

ليلي :

__ إني أخشى أن يكون هذا الحلم قصيرًا و أن نصحو

غداً فنجد أن كل شيء لم يكن

رفع أسامة يده إلى وجنتيها و مسح برفق دمعة لم

تنتبه أنها انسابت و قال :

__ الحب يا ليلي ليس حلمًا بل هو الحقيقة التي تهزم كل

الأوهام و أن كان العمر قصيرًا، فيجب أن نعيشه معاً

فأن لحظة واحدة بقربك تساوي دهرًا بأكمله

تابع سيرهما على الطريق، خطواتهما تتناغم كأنها

موسيقى خفية لا يسمعها غير قلبيهما

النسيم الليلي يمر خفيفاً بين الأشجار يحمل معه رائحة
الارض الندية بعد مطر خفيف كان قد انقضى منذ ساعة
كانت ليلي تسير بجواره و قالت بصوتاً هادئ :
_ أتعلم يا أسامة، لقد اعتدتُ أن اكون وحدى، أن اقاوم
الصمت بحديث نفسي أما الليلة فاشعر أني مختلفة
كأنني أخف وزناً لمجرد انك تسير بجانبى
نظر أسامة إليها نظرة طويلة ثم اجاب بصوت عميق :
_ لانك لست وحدك بعد اليوم، كل خطو اخطوها بجانبك
تُشعرني انني استعيد نفسي شيئاً فشيئاً و الطريق ذاته
الذي كنت أراه مظلماً اصبح مضاء بنورك
ارتبكت ليلي من قوة كلماته فابتسمت بخجل وقالت :

_ لطلالما خشيت أن يكون قلبي أثقل من أن يحمل و

لكنني الآن اكتشف أنه يخف كلما اقتربت مني

قال أسامة بهدوء :

_ القلب يا ليلي لا يتقل إلا إذا ترك وحيداً، أما حين يجد

من يشاركه النبض فإنه يطير كجناح طائر

توقفت ليلي فجأة عن السير و نظرت إليه بجدية

ممزوجة بخجل ثم قالت :

_ وكيف وثقت بي إلى هذا الحد ؟ ألسنا أبناء بشر

يخطئون و يضعفون ؟ أما خشيت أن اخذك يوماً ؟

ابتسم أسامة ورفع بصره إلى السماء ثم عاد يحدق في

عينها و قال :

_ اخشى ؟

ليلى وهي تكمل سيرها :

_ اجل، تخشى

سار بجانبها و قال :

_ الخوف من الخذلان لم يمنعني يوماً من حبك بل

علمني أن الحب الحقيقي يقبل الضعف كما يقبل القوة

أنتِ أن اخطأتِ أو ضعفتِ فلن يزيدني ذلك إلا رغبة في

أن أكون معك

تأثرت ليلى بكلماته حتى شعرت بدموع صغيرة تترقق

في عينيها فحاولت أن تخفيها بالابتسامة و قالت :

_ غريب أنت يا أسامة، تجعل من ضعفي جمالاً و من

خوفي شجاعة، ألهذا الحد تؤمن بي ؟

اجاب أسامة بصوت هادئ :

_ بل أوْمِن بك كما أوْمِن بأن قلبي ينبض بجانبك

نظرت ليلي إلى الأرض بخجل لكن قال أسامة :

_ اتذكرين اول لقاء لأعيننا ؟ ذلك الشعور المفاجئ

الذي اجتاحني لا يزال حاضراً في داخلي، لم يذهب و لم

ينطفئ

اجابت ليلي وهي تشرد بعينيها بعيداً :

_ اجل، كنت اشعر أن شيئاً في داخلي يتغير أيضاً

كأنني عرفت نفسي من جديد حين رأيتكن ولكنني

انكرت الأمر على قلبي طويلاً

قال أسامة بهدوء :

_ و ها نحن الآن نسير في الطريق ذاته الذي قاومته
طويلاً، أليس اجمل أن نترك للقدر كلمته الأخيرة ؟
ابتسمت ليلى، ابتسامة امتزجت فيها الراحة بالخوف و
قالت :

_ بلى، غير أنني أخشى أن اصحو غداً فأجد أن كل ما
يحدث الآن لم يكن إلا حلمًا عابراً
وقف أسامة أمامها و امسك بيديها بكل رفق ثم قال :
_ أن كان حلمان فدعينا نعيشه و أن كان حقيقة و اقسم
أنه كذلك، فدعينا نعيشه أيضاً لكي يُحفظ في قلوبنا
ارتجفت اصابعها في يديه و شعرت ان كلماتها تعجز
عن التعبير فاكتفت بأن ترفع عينيها إليه و فيهما من
الصدق ما يغني عن الكلام أما هو فقد شعر أنه أخيراً

وجد الوطن الذي ظل يبحث عنه طويلاً، اكمل سيرهما
نحو لا معلوم فهم لم يعرفوا ماذا سيفعلوا أو أين
يذهبون، كان الليل يزداد سكوناً و الطريق يمتد أمامهما
طويلاً كأن الزمن توقف احتراماً لتلك اللحظات، لم يكن
بينهما حديث تلك المرة ولكن العيون كانت تتحدث بلغة
لا تحتاج إلى الحروف، نظرات أسامة كانت تنتقل بين
وجهها الذي يضيئه القمر بخفوت و بين خطواتها
المتردة التي تحمل شيئاً من الخجل و شيئاً من الثقة
أما ليلي فقد كانت ترفع بصرها غليه على استحياء ثم
تهرب سريعاً و كأنها تخشى أن يكتشف في عينيها
اشرار قلبها، كان الهواء البارد يمر من حولهما

لكنه بدا دافئاً وهما معاً، خطواتهما تتقارب شيئاً فشيئاً
حتى صارت المسافة بين كتفيهما اقرب مما اعتادا و
مع ذلك لم ينطق أي منهما بكلمة فكان الصمت نفسه
يفيض بالمعاني و كانت الأرض تحت اقدامهما كأنها
تشهد على ميلاد عهداً من الحب، كلما لمح أسامة
انعكاس النجوم في عينيها شعر أن السماء اقتربت منه
و أن روحه تسبح في فضاء ارحب من كل قيود الأرض
كان يبتسم في نفسه من غير أن يشعر، ابتسامة من
وجد أخيراً ما كان يفتش عنه منذ زمن بعيد، و ليلى
برغم محاولاتها أن تبقى متماسكة، لم تستطع أن تخفي
ارتجافة خفيفة في يديها و هي تضمها على صدرها
كأنها تخشى أن تفضحها دقات قلبها المتسارعة

لم يكن بينهما سوى اصوات الخطوات على الطريق
و صوت الريح يمر بين الاشجار، لكن ذلك وحده كان
موسيقى كافية لتغمرهم ان كان أسامة يتأمل طريقة
سيرها، ذلك التوازن بين الخجل و الرقة، فيرى فيها
لوحة مكتملة من الجمال الهادئ، أما هي فكانت تسرق
النظر إليه بين حين و آخر، لترى ملامحه في ضوء
الليل فتزداد يقيناً أن القدر ما جمعهما إلا ليكمل كل
منهما الآخر، في تلك اللحظات لم تكن الكلمات ضرورية
كانت العيون تعترف بما لم تجرؤ الألسنة على البوح به
كان الإعجاب يسري بينهما كنسيم لطيف لا يُرى
لكنه يُحس في الأعماق، كل نبضة قلب كانت رسالة
و كل زفرة نفس كانت اعترافاً

العجيب أنهما لم يتحدثا فكانوا يشعرون بأنه حديثهم
الذي لم يمضى كثيرًا كان يحمل الكثير و الكثير
ينظران إلى بعضهم البعض و مع كل خطوة يخطوانها
كان الصمت يزداد عمقًا، لا لأنه فراغ بل لأنه امتلاء
امتلاء بالشعور الذي لا تسعه لغة البشر، شعر أسامة
أنه يريد أن يضمها لكنه آصر أن يكتفي بالنظر لأن
النظرة وحدها تكفيه الآن، لأنها اصدق من ألف كلمة
أما ليلي فقد احست أن الأرض نفسها صارت أليين تحت
قدميها و كأنها تسير في حلم طويل طال انتظاره، كان
في عينيها بريق لم تعرفه من قبل، خليط من الحياء
السعادة و الدهشة، بريق يكشفها رغم صمتها، يبوح
عنه قلبها رغم إنكارها

قرر فجأة أن يكسر أسامة حاجز الصمت و سار أمامها
ثم التفت نحوها و قال مبتسمًا :

_ أخبريني يا ليلي، هل يوجد "مأذون" في برلين ؟
توقفت انفاسها للحظة و ارتجفت شفتاها قبل أن تغطي
وجهها بكفيها لتخفي ابتسامة انفجرت رغمًا عنها
خجلها ظهر واضحًا على وجنتيها اللتين توردتا بشدة
ثم قالت بصوت مرتعش بين العتاب و الضحك :
_ ما الذي تقوله يا أسامة ؟! أتمزح حتى في مثل هذه
اللحظة ؟

ضحك أسامة و هو يميل برأسه قليلًا كأنه يعتذر بمرح
و قال :

_ و ماذا افعل يا ليلي ؟ لقد ارهقني صمتنا، و اردت أن

اقول شيئاً يكسر جدار السكون بيننا، ثم ألا ترين أن

الفكرة جذابة ؟

اطرقت براسها إلى الأرض تحاول أن تخفي ارتباكها

غير أن ابتسامتها خانتها وكشفت عما في قلبها، تمتمت

بصوت خفيض لا يكاد يسمع :

_ جذابة، لكنها مخيفة

ابتسم أسامة و قال :

_ و لما ؟ أليس ما بيننا اعمق من أن يظل حبيس

العيون و الكلمات ؟ أليس جديرًا أن يتوج و لو في

اقصى العالم بخاتم و عقد قران ؟

رفعت عينيها إليه سريعاً، نظرة خاطفة كأنها خافت أن
تنصفح مشاعرها ثم هربت ببصرها من جديد و قالت :
_ لأن قلبي لا يزال عاجزاً عن التصديق، اشعر و كأنني
في حلم و أخشى أن اصحو في لحظة فلا اجدك
ابتسم أسامة و قال بصوت يفيض طمأنينة :
_ نحن لا نحلم يا ليلي، نحن نعيش الآن واقعاً اجمل من
أي حلم، أن وجدت "مأذون" في برلين فلن اتردد
لحظة في أن اطرق بابه و اربط مصيري بمصيرك
نظرت ليلي في الارض و هي تسير في ارتباك، لكنها لم
تستطع منع نفسها من الضحك فضحكت بخجل، و
ضحكتها تلك كانت كالموسيقى التي طال شوق أسامة

لسماعها و ظل يتأملها بدهشة المُحب الذي يفاجأ
بعشقه في كل لحظة و قال بصوت جد من كثرة الصدق:

_ لقد اشتقت إلى هذه الضحكة اكثر من اشتياقي إلى

الحياة ذاتها

وضعت ليلي مرة أخرى كفيها على وجنتيها محاولة أن

تخفي دموعاً صغيرة لمعت في عينيها و قالت بصوت

يملأه الخجل :

_ رجاءاً، لا تقل ذلك الآن أنك تجعلني اضعف اكثر

ابتسم أسامة ثم قال :

_ بل اجعلك اقوى بي، كما تجعليني اقوى بكِ فلقد

سئمت الوحدة يا ليلي و سئمت أن اخفي عنك ما يفيض

به قلبي

ساد الصمت لحظة أخرى بعد كلمات أسامة، لكن ملامح
ليلي تغيرت فجأة و بدت كأنها تستعيد شيئاً دفيناً ظل
يثقل صدرها منذ فترة ثم توقفت عن السير و رفعت
عينها إليه بحدة لم يألّفها أسامة من قبل و قالت :
_ أسامة، كيف يمكنك أن تتحدث عن "مأذون" و عن
مصير واحد، و أنت الذي غبت عنيّ أكثر من عام كامل
دون أن تسال أو حتى تبحث عني ؟
تجمد في مكانه كأن كلماتها سدّدت إلى قلبه سهماً
حاول أن يتكلم لكن صوته تعثر فاكتفى بنظرة اعتذار
صامتة، لكن ليلي لم تنتظر جوابه بل تابعت بانفعال
كتمته طويلاً :

_ أتلعم ما معنى أن استيقظ كل صباح و أنا ابحت في

وجوه الناس عن ؟ أن اعود كل مساء بقلبي مثقلًا

بخيبة جديدة ؟ لقد تركتني وحدي يا أسامة، تركتني

اقاتل فراغك

ارتجفت يداه و هو يستمع إليها كأن كل كلمة منها تعيد

فتح جرح قديم، اقترب منها بخطوات بطيئة ثم قال :

_ ليلي، لم اتركك هربًا و لم يكن غيابي خيانة للوعد

كنت أنا الآخر غريقًا في بحر من الألم، ابحت عني قبل

أن ابحت عنك ... لكنك كنتِ تسكنيني رغم البُعد، لم

تفارقيني لحظة واحدة

هزت رأسها نافية و الدموع تنساب على وجنتيها :

_ لو كنت كنت تحملني حقًا في قلبك لوجدت طريقك إلي

قال لها بكل ألم :

_ أقسم لك يا ليلي، أنني عشت عامي ذاك ميتًا على قد

الحياة لقد كنت افتقدك في كل يوم، لكنني كنت ضعيفًا

محطماً عاجزاً عن الوصول إليك و لم يكن قلبي غائباً

بل جسدي فقط، أما روحي فقد كانت سجيناً معك طوال

الوقت

نظرت إليه بعينين دامعتين تتأرجحان بين الرغبة في

التصديق و الخوف من الانسكار من جديد ثم قالت

بصوت متقطع :

_ لماذا الآن إذا ؟ لماذا عدت بعدما تركتني اتألم كل ذلك

الوقت وحدي ؟ هل تعلم كم مرة سألت نفسي (هل كنت

تُحبني حقاً أم مجرد وهم صنعه قلبي ؟

اطرق أسامة رأسه للحظة ثم رفعه قائلاً :

_ لأنني لم اعد احتمل يا ليلي، لم اعد احتمل عذاب

الفقد و ادركت أنني أن لم اعد إليك الآن فسأموت

و أنا نادم على أنني تركت حب حياتي يضيع من بين

يدي، جئت لأعارف بخطئي الآن و جئت لاقول لك : إن

كان لا يزال في قلبك مكان لي، فأنا هنا و لن ارحل بعد

اليوم

تراجعت خطوة للخلف و عيناها غارقتان في دموع

محتشدة و قالت :

_ لا اريد وعوداً يا أسامة، لقد اكتفيت من الانتظار و

الوعود ما اريده هو يقين، يقين انك لن تغيب ثانية

ولن تتركني اقاتل ظلك وحدي

اقترب منها قليلاً و صوته امتلأ بعزم :

_ أقسم لك يا ليلي، هذه المرة لن يكون هناك غياب

هذه المرة لن يكون هناك ظل بل حضور كامل لأنك

تستحقين

ساد صمت طويل و لم يبق فيه سوى صوت انفاسهما

المتقطعة و خفقات قلبيهما المتارسة، كانت ليلي ما

تزال غارقة في بكائها لكن تلك النظرة في عينيها لم تعد

غضباً بل امتزجت بشيء آخر، حنين عنيج يأبى أن

يموت، رفعت ليلي بصرها إلى أسامة و قالت بصوت

وهن :

_ لقد ارهقتني بغيابك يا أسامة، جعلتني اتذوق مرارة

الوحدة لكنني ... ما زلت أراك موطني الذي افتقده

ارتجف وجهه فرحًا و دهشة، كأن كلماتها اعادت إليه

الحياة من جديد ثم قال :

_ إذا ما زال لي مكان في قلبك ؟

تنهدت بعمق و مسحت دموعها بطرف كفها ثم اومأت

بخجل و قالت :

_ القلب الذي عرفك لا يعرف غيرك، لكنه يخاف أن

ينكسر مرة أخرى

ابتسم ابتسامة حزينة و قال بحرارة متدفقة :

_ لن اعدك لكني أقسم لك يا ليلي، هذه المرة لن اتركك

و لن اغيب، لن اسمح للقدر أن يسرقك مني مرة أخرى

سأكون معك حاضرًا في كل لحظة، كما تستحقين و اكثر

كانت الكلمات تتدفق إلى قلبها كالماء البارد على جرح
ملتهب و رغم الحذر الذي ما زال يسكنها إلا أن شيئاً
داخلها بدأ يستسلم لدفاع صدقه، نظرت في عينيه
طويلاً ثم قالت :

_ إذا، لنجعل هذه البداية الجديدة مختلفة، و لنمض في
الطريق معاً بلا فراق

ابتسم أسامة ابتسامة واسعة ملاتها الطمأنينة، شعر كل
منهما أن جدار البعد الذي فصل بينهما لأكثر من عام
بدأ يتلاشى، و أن لحظة الصفح هذه ليست مجرد
تسامح بل ولادة حب رسوخاً مما كان، استأنفا السير
جنباً إلى جنب بخطوات هادئة هذه المرة كأن الطريق
قد أصبح شاهداً على عهد جديد نسجه الحب

مضت خطواتهما بطيئة، كأن الأرض ذاتها ارادت أن
تمنحهما فرصة اطول ليستنشقا عبير اللحظة فكان
الصمت بينهما هذه المرة مختلفاً، لم يكن صمت جفاء
بل صمت محمل بالسكينة و الارتواء فقد تبادلت العيون
حكيات لم يستطع اللسان أن ينطقها فكل نظرة كانت
تحمل اعترافاً صريحاً بالاشتياق و كل ابتسامة خجولة
كانت تحمل وعداً غير مكتوب، لكن ليلي رفعت بصرها
إلى أسامة فرأت في عينيه بريقاً يشبه بريق الفجر بعد
ليل طويل، شعرت أن دفء نظراته يحيطها كغطاء من
أمان طال انتظاره، تورد وجهها خجلاً لكنها لم تبعد
عينيهما عنه بل تركت لنفسها حرية الغرق في ملامحه

أما هو، فكان يرقبها كما لو كانت الحياة كلها اختصرت
في هذا الوجه و كان يتأمل تفاصيلها الدقيقة : ارتعاشة
رموشها و ارتجاف عينيها، وميض الحياء الذي يلون
وجنتيها و كلما طالّت النظرة ازداد يقينه أن قلبه قد عاد
اخيراً إلى مكانه الطبيعي، هبت نسمة خفيفة فحركت
خصلات شعرها المتساقطة على كتفيها فلم يستطيع أن
يمنع نفسه من أن يبتسم و هو يمد يده بخجل ليزيح
خصلة صغيرة عن وجهها، ارتعشت ليلى لكنها لم
تعرض بل اطرقت رأسها قليلاً تاركة ابتسامة رقيقة
في تلك اللحظة، لم يكن هناك ماض و لا غياب بل كان
الحاضر وحده سيد الموقف، حاضر تغمره انفاسهما و
خطواتهما التي انسجمت من جديد و نظراتهما التي

بنت جسرًا لا ينكسر، كان الطريق أمامهما يمتد بلا
نهاية لكنهما لم يعودوا يخافان المسافة؛ فالمسافة
فقدت معناها ما داما يسيران جنبًا إلى جنب و قلبًا بقلب
يسيران بهدوء بعد العاصفة و الانكسار الذي شعره كل
منهما، انكسار كالانهيار لكنه كان بداية كل شيء
بينهما، وهو الحب ... الحب الذي لطالما انتظاره وها
هم الآن يسيران معًا بطريق غريب يجعلك تسأل كيف لا
ينتهي ؟

و هم يسIRON اتصلت سلمي و قالت برعب :

_ إيمان، انقذيني

ليلى برعب :

_ أين أنت ؟؟

ولكن الخط يقطع عند تلك اللحظة و يصيب ليلي و
أسامة بالرعب، قرروا انهم يتصلون و يقولون لجاسر
و بالفعل فعلوا ذلك و قال لهم :

_ أننا سنرتفع للمرحلة القصوى إذا، أذهبوا إلى
السفارة المصرية بأسرع ما يمكن و تتبعوا ذلك الرقم
وبالفعل ذهبوا مسرعين

الفصل السابع

(زي الهوا)

_ ماذا قالت عندما اتصلت ؟

كان ذلك سؤال نائب السفير بمقر السفارة بعد أن اخذ
الهاتف منهما و ارساله لتتبعه، قال أسامة ردًا على

السؤال :

_ لم تقل شيء سوى (إيمان، انقذيني) فقط

كانت ليلي تجلس بجانب أسامة و هي قلقة كثيرًا و
علامات التوتر تظهر عليها بشكل ملحوظ و لكنه قال

لها :

_ انتظريني هنا سوف اذهب قليلاً

نائب السفير :

_ أين ستذهب ؟

أسامة :

_ سوف اذهب إلى قسم (الاتصالات)

نائب السفير :

_ و ماذا ستفعل هناك ؟

أسامة وهو يذهب بعيداً :

_ سوف اساعدهم

و بالفعل ذهب إلى ذلك القسم و طلب من احد الجالسين

على الحواسيب ان ينهض لأنه يريد أن يبحث بنفسه و

بالفعل اخذ يبحث و لكن ليس على رقم واحد بل اثنين

لأنه يريد أن يعرف مكان الرقم الذي اخذه من البنك

لكنه طلب المساعدة من تلك الشابة التي كانت تجلس

و قال لها :

__ ما اسمك ؟

الشابة بتوتر :

__ بسملة، سيدي

أسامة بعدما اخرج رقم "سلمي" من جيبه :

__ انظري، اريدك أن تبحثي عن ذلك الرقم

جلست على الحاسوب بجواره و أخذ هو يبحث عن

الرقم الذي اخذه من البنك و بالفعل وجد اسم ذلك

الشخص الحقيقي وهو " موسى عبد العزيز محمد"

قال أسامة للفتاة :

__ هل تعرفين من هو "موسى عبد العزيز محمد "

نظرت الفتاة إلى أسامة بتعجب و قالت :

_ كيف لا تعرف ذلك الشخص ؟

أسامة :

_ لماذا يجب أن اعرفه ؟

الفتاة :

_ ذلك الشخص هو من يرسل الأموال للبنك كنا نراقبه

و لم يظهر منذ مدة

أسامة :

_ و لما سيكون ذلك الشخص يدفع امولاً طائلة لمنظمة

" العين "

ظهرت ليلى فجأة و قالت :

_ لأنه كان خائف

تفاجأ أسامة و التفت إليها قائلاً :

_ من ماذا ؟

ليلى :

_ لا أعرف و لكن لما سيدفع ذلك المبلغ سوى أنه

خائف من شيء

نظرت الفتاة و قالت :

_ لقد وجدت عنوان المنزل

نظروا جميعهم إلى الحاسوب و ثم تفاجأ أسامة كانت

الصدمة قد تكاد أن تخرج من وجهه، لم تفهم ليلي و

قالت بشك :

_ ما ذلك المكان يا أسامة هل تعرفه ؟

أسامة بصدمة :

_ أجل

ليلى :

_ كيف تعرفه ؟

لم يجاوب أسامة و لكن ليلي صرخت به وقالت :

_ كيف تعرفه ؟!!!

أسامة بصوت مرتفع :

_ لأنه منزل "آسر"

لم تصدق و لكن قطع تلك اللحظات نائب السفير وهو

يدخل إلى القسم قائلاً :

_ يريد شخص التحدث إليكم

أمسك أسامة الهاتف المُشفر و لكن المتصل قال :

_ معكم جاسر، تكلموا في مكان بعيد عن السفارة أو

اخرجوا منها

و بالفعل خرجا كلاهما و بدأ جاسر في التكلم قائلاً :

_ كانت مهمتكم ليست القبض على " علي " لأننا لم

نكن سنعرف أن نفعل ذلك و لكن مهمتكم التي لم

اخباركم ايها هي قتل تابع " علي " لم نكن نعلم من هو

الخائن في منظمتنا الذي يرسل إلى جماعة " الخالدين "

كل شيء عنا و كانوا يسبقوننا بكل خطوة لكن الذي

استطعنا فعله هو تحديد البلد الذي به هذا الخائن لم

نستطيع أن نحدد من هو لأن هناك اكثر من 200

شخص في ألمانيا يعمل لدينا ما بين عملاء خاملون و

عملاء ناشطون، و لذلك قمنا بأختياركم لتلك المهمة

كان يريد أسامة أن يتكلم و لكن جاسر اكمل قائلاً:

_ لا وقت للمناقشة يا أسامة، لقد تكلمنا مع الحكومية

الألمانية و سوف ترسل معكم قوات خاصة للقبض على

"آسر" و تحرير سلمي من هناك و ستكون تلك نهاية

المهمة

و عندما انتهت المكالمة تفاجأ بسيارة ضخمة بها بعض

القوات قائلين لهم أن يصعدوا بسرعة و بالفعل فعلا

ذلك وذهبوا متجهين إلى منزل "آسر" و بينما هم في

الطريق قال لهم القائد :

_ هل تجيدون استخدام السلاح ؟

أسامة :

_ بالطبع

القائد و هو يمسك سلاحين لهما :

_ ذلك مسدس (اتش كه) بالطبع تعرفانه

أسامة :

_ شكرًا لك

أخذًا اسلحتهم ثم ذهب القائد ليجلس، حينها وضع
أسامة السلاح بجانب ليلى و نهض ليتصل بموسى لكي
يعرف كل شيء ... ابتعد قليلًا و اتصل به لكن لم يأتي
له بأنه فعال و لكن نظر إلى الهاتف تذكر حينها إذا اراد
أن يكون الهاتف فعلا يجب عليه رفع الشفرة يدويا من
الهاتف لذلك لم يرد عليه اول مرة في السابق

و بأحدى شوارع مدينة نيويورك وهو شارع (هلسى)
و خاصة (A315) كان موسى و زوجته جالسين على
الأريكة بجانبهم ابنتهم الصغيرة يشاهدون جميعهم
التلفاز و لكن يقطع تلك اللحظة العائلية صوت هاتف
موسى، أخذ موسى الهاتف و بدأ أسامة قائلاً :

_ اهلا معك أسامة

تكلّموا هم الأثنان عن كل شيء يخص منظمة
"العين" و الغريب أن ليس هناك أي ردة فعل من
أسامة سوى شيء واحد :

الدهشة

بعد تلك المكالمة الطويلة و التي انتهت بوصول القوات
إلى منزل "أسر" أخيراً، يدخل أسامة و ليلى، معاهم

القوات الخاصة، لم يظهر أسر حتى الآن لا يوجد سوى
صوت العنديل الذي كان أسر يحب اغانيه كثيرًا
فلم يكن يوجد إلا صوت اغنية (زي الهوا)، و لكن فجأة
ظهر أسر و معه اخرون، بدأ اطلاق النيران النوافذ
تحطمت و الزجاج تناثر على الأرض من الرصاص
الذي اخترقه، اختبأت ليلى خلف أريكة تمسك سلاحها
بقوة، بينما انحنى أسامة خلف عمود خشبي سميك عند
مندخل الممر المؤدي إلى غرفة المعيشة، تبادل كلاهما
نظرة سريعة فيها كل معاني الحب مع القلق و الخوف
قبل أن يخرجوا في وقت واحد لأطلاق النار، المسلحين
التابعين لأسر انتشروا بين الغرف و الممرات الضيقة
كانت أصوات خطواتهم تختلط بصيحات الغضب و

الرصاص يخترق الجدران الخشبية، و يتطاير منها
شظايا صغيرة، و خلال دقائق قليلة خمدت أصوات أسر
و رجاله و لم يبق في المنزل سوى صوت انفاس
المقاتلين و صوت خشب السقف وهو يئن بسبب
المعركة الصغيرة تلك، ظهر أسر أخيرًا و معه
"سلمي" و كان وجهه مغطى بالعرق و بيده بندقية
كان يرفع سلاحه ببطء لكن أسامة لم يمنحه فرصة و
اطلق رصاصة اخترقت بطن أسر و ارتد جسده للخلف،
وقبل أن يلفظ أسر انفاسه الأخيرة اطلق الرصاص على
ليلي، لم يصدق أسامة و اطلق الرصاص عليه و لفظ
أسر نفسه الأخير

ثم جلس بجانب ليلى و هي تلفظ انفاسها الأخيرة أخذ
يعانقها و يخشى الفراق و يبكي كالأطفال ..
و يخترق ذلك الصمت و بكاء أسامة صوت الأغنية

" وفي عز الأمان ضاع مني الأمان، وفي عز الأمان
ضاع مني الأمان "

العنديل _ زي الهوا

(تمت بحمد الله)

بعد سنتين

بصوت حذائهما يدخلان موسى و أسامة إلى محكمة

نيويورك و قبل دخولهما القاعة رقم (4) يسمعان

يوسف وهو يقول بلكنته الانجليزية المتقانة :

_ و تلك هي سيدي القاضي بعض الدلائل التي تؤكد

براءة موكلتي الأنسة (...)

ابتسم موسى قبل دخوله إلى القاعة ثم نظر لأسامة

قائلاً :

_ لغته ممتازة

موسى و يوسف (ابطال رواية الرحلة 204)

انتظروا الجزء الثاني بعنوان :

قرية تينتو